Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

توفيق الحكيم

أهل الكهف

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت: ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ شكة الشابورى بالفاعية الجديدة

توفيق الحكيم

أهل الكهف

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

893.7H121
033

مثلت « أهل الكهف » أول مرة فى مصر عام ١٩٣٥ ؛
إذ كانت رواية افتتاح الفرقة القومية المصرية التى أنشئت فى ذلك العام

12786

كتب للمؤلف

نشرت فى اللغة العربية

محمد
- الطبعة الاولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
- الطبعة الثانية : (مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)
- الطبعة الثالثة : (المطبعة النموذجية ١٩٥٥))

شهر زاد
- الطبعة الأولى : (مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
- الطبعة الثانية : مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)
- الطبعة الثالثة : (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٣)

أهل الكهف
- الطبعة اولألى : (مطبعة مصر عام ١٩٢٣)
- الطبعة الثانية : (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)
- الطبعة الثالثة : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)
- الطبعة الرابعة : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)
- الطبعة الخامسة : (مطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)
- الطبعة السادسة : (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٢)
- الطبعة السابعة : (المطبعة النموذجية عام ٢٩٥٧)

عودة الروح في جزءين
- الطبعة الأولى : (مطبعه الرغائب عام ١٩٣٣)
- الطبعة الثانية : (مطبعة المعارف عام ١٩٤٦)
- الطبعة الثالثة : (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٦)

تحت شمس الفكر
- الطبعة الأولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
- الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
- الطبعة الثالثة : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)
- الطبعة الرابعة : (المطبعه النموذجية عام ١٩٥٤)

تاريخ حياة معدة
- الطبعة الأولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
- الطبعة الثانية : مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

عهد الشيطان
- الطبعة الأولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
- الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

راكسا أو مشكلة الحكم ((مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)

راقصة المعبد { الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)

نشيد الإنشاد { مطبعة مصر عام ١٩٤٠)

حمار الحكيم { الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثالثة : (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٢)

سلطان الظلام { الطبعة الأولى : (مطبعه التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثانية : (مطبعه التوكل عام ١٩٤٢)

من البرج العاجى ((مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)

تحت المصباح الأخضر ((مطبعه التوكل عام ١٩٤٢)

أهل الفن { مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

بجماليون { الطبعة الأولى : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

مسرحيات { المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر الجنون رصاصة فى القلب جنسنا اللطيف : (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

القصر المسحور { بالاشتراك مع الدكتور طه حسين (مطبعه دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

مسرحيات { المجلد الثاني : ويشمل قصص الخروج من الجنة أو الملهمة أمام شباك التذاكر. الزمار حياة تحطمت (مطبعة لجنة التاليف والترجمه والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب فى الأرياف { الطبعه الأولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانيه : لحساب وزارة المعارف العمومية (مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عام ١٩٣٧)
الطبعه الثالثة : (النموذجية ١٩٤٩)
الطبعه الرابعة : (النموذجية ١٩٥٣)
الطبعة الخامسة : (النموذجيه ١٩٥٤)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

عصفور من الشرق
- الطبعة الأولى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
- الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
- الطبعة الثالثة : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
- الطبعة الرابعة : (المطبعة النموذجية عام ١٩٥١)

سليمان الحكيم
- الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
- الطبعة الثانية : (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩)

زهرة العمر
- الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
- الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

رصاصة فى القلب ((مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

الرباط المقدس ((مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤

حارى قالى ((مطبعة المعارف عام ١٩٤٥)

شجرة الحكم (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

الملك أوديب (المطبعة النموذجية عام ١٩٤٩) (الطبعة الثانية ١٩٥٧)

قصص توفيق الحكيم المجموعة الأولى والثانية (مطبعة دار سعد مصر ١٩٤٩)

مسرح المجتمع (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٠)

فن الأدب (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٢)

ذكريات الفن والقضاء (مطبعة المعارف عام ١٩٥٣)

ارنى الله (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٤)

عصا الحكيم (دار الهلال عام ١٩٥٣)

دقت الساعة (مطبعة روز اليوسف عام ١٩٥٤)

تأملات فى السياسة (مطبعة روز اليوسف عام ١٩٥٤)

التعادلية (المطبعة النموذجية عام ١٩٥)

ايزيس (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٥)

الصفقة (المطبعة النموذجية عام ١٩٥٧)

كتب للمؤلف

نشرت فى لغة أجنبية

شهرزاد	ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٢٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل ايديسيون لاتين) وترجم إلى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥
عودة الروح	ترجم ونشر بالروسية فى لينجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسة فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل للنشر وبالأنجليزية ونشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢
يوميات نائب فى الأرياف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وترجم ونشر باللغة العبرية عام ١٩٤٥ ، وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ وترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥
أهل الكهف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرنس ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٥
عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسة عام ١٩٤١
نجمة ايوت	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ٩٥٠
أوديب	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
سليمان الحكيم	: « « « « « « « «
نهر الجنون	: « « « « « « « «
عرف كيف يموت	: « « « « « « « «

تابع الكتب التى نشرت باللغة الأجنبية

المخرج : « « « « « « « «

بيت النمل : « « « « « « « «

الزمار : « « « « « « « «

« فى مجلد بعنوان مسرحيات عربية عن دار نشر « نوفيل ايديسيون لاتين باريس »

مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

السياسة والسلام : « « « « « « « «

الشيطان فى خطر : « « « « « « « «

بين يوم وليلة : « « « « « « « «

الشيخ الهادى : « « « « « « « «

أريد أن أقتل : « « « « « « « «

الساحرة : ترجم ونشر باللغة الفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣

دقت الساعة : « « « « « « « «

أنشودة الموت : « « « « « « « «

لو عرف الشباب : « « « « « « « «

الكنز : « « « « « « « «

« فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا، ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا . »

القرآن

الفصل الأول

الكهف بالرقيم . ظلام لا يتبين فيه غير الأطياف . طيف رجلين قاعدين القرفصاء، وعلى مقربة منهما كلب باسطا ذراعيه بالوصيد

مشلينيا : (وهو أحد الرجلين) يامرنوش !

مرنوش : استيقظتَ ؟ ماذا تريد مني ؟

مشلينيا : أين أنتَ ؟ أسمع صوتك المتبرمَ ولا أراك . آه ! ظهري يؤلمني !

مرنوش : دعني . أنا أيضاً ضلوعي تَوْجعني . كأنما نمت عليهما عاماً

مشلينيا : أين الراعي ؟ أين ثالثنا الراعي ؟

مرنوش : أتبيَّن شبحَ كلبه هنا باسطاً ذراعيه .

مشلينيا : ألا تَرَى هذا الراعيَ يتجنَّب قربنا ، أين هو ؟

مرنوش : لعله بباب الكهف يرقب طلوع النهار ، شأن الرعاة .

مشلينيا : (بتمطٍّ) آه ظهري ! يؤلمني ! كم لَبِثْنا يامرنوش ؟

مرنوش : أف ! إنك تحرج صدرى بأسئلتك .

مشلينيا : أنا كذلك لو تعلم ضيقُ الصدر مثلك ! مرنوش، كم لَبِثنا هاهنا ؟

مرنوش : يوماً أو بعضَ يوم .

مشلينيا : من أدراك ؟

مرنوش : وهل ننام أكثرَ من هذا القدر ؟

مشلينيا : صدقت (صمت)، (وفجأة يقول وهو نافد الصبر) أريد الخروجَ من هذا المكان .

مرنوش : ويحَكَ ! إلى أين ؟

مشلينيا : أو تريدُنى على المَبيتِ هنا ليلةً أخرى ؟

مرنوش : ليلتين أو ثلاثاً، حتى نأمنَ على حياتنا من دقيانوس

مشلينيا : (صائحاً متذمراً) لا أستطيع ، لا أستطيع .

مرنوش : ولمَ أستطيع أنا ، وأنا ولىّ امرأة وولد أعزهما وأعبدهما ؟

مشلينيا : أنتَ تستبقى حياتك من أجلهما .

مرنوش : وأنتَ ؟ ألا تريد أن تستبقى حياتك من أجل . . .

مشلينيا : نعم يا مرنوش . لكن ها أنت ذا ترانى لا أقوى على البعد يوماً واحداً .

مرنوش : مشلينيا ! احذر لنفسك ولنا ! المذبحة لا تزال قائمة فى المدينة . إنى لن أحتمل نزقك بعد اليوم .

(يبدو شبح يتخبط فى الظلام)

مشلينيا : من هذا ؟

يمليخا : أنا الراعى يا مولاى .

مشلينيا : تفقدناك الساعة .

يمليخا : قمت أتلمس الطريق إلى الباب ، فلم أهتد إليه .

مشلينيا : اقعد بجوارنا . مذ قدمنا إلى هذا الكهف وأنت صامت ، كأنك لا تأنس بنا

مرنوش : ما اسمك أيها الراعى ؟

يمليخا : اسمى يمليخا يا مولاى .

مشلينيا : لماذا تدعونا دائماً يا مولاى .

يمليخا : وبماذا أدعو صاحبَ يمين الملك وصاحب يساره ؟

مرنوش : عجباً ! .. من أنبأك أننا صاحبا الملك ؟!

يمليخا : وهل يُجهل الوزيران ؟

مشلينيا : أرأيتنَا من قبل ؟

يمليخا : كثيراً .

مرنوش : أين ؟

يمليخا : بمدينة طرَسوس ، فى ساحة مصارعة السباع كنتما تحوطان الملك فى شُرْفَتِه والأنظار ترمُقكم والشفاه تهمِس : هذا الملك ، وهذان مشلينيا ومرنوش .

مشلينيا : أعرَفتنا إذن ساعة جئناك نعدو نسألك ملجأ ومخبأ ؟

يمليخا : لم أتبينْكما أول الأمر . لكن سمعت أحدكما يقول لصاحبه : «إنهم فى أثرنا يامرنوش فلنسرع» فنبهنى الاسم من ساعتى . فتركت غنمى ، وجئت بكما إلى كهف الرقيم .

مشلينيا : (بعد صمت) ألم نلهك عن غنمك يايمليخا ؟

يمليخا : لا بأس . إنها ترعى الكلأ آمنة ، ولا يعلم أحد أنها لمسيحى

مرنوش : أنت أيضاً كنتَ تخفى دينكَ ؟

يمليخا : نعم يامولاى .

مشلينيا : يمليخا ! كلمة « مولاى » تُؤذى سمعى . إناهنا إخوة ومسيحيون . فلا موالىَ ولا عبيد .

مرنوش : هل لك أهل يايمليخا ؟

يمليخا . ليس لى إلا قِطْمير ؟

مشلينيا : من هو قِطْمير ؟

يمليخا : (يشير إلى الكلب) كلبى هذا .

مرنوش : أنتَ إذن أسعدنا حالا .

(صمت . .)

يمليخا : (فى تردد) لو أجرؤ على السؤال . .

مشلينيا : سَلْ عما شئتَ يايمليخا ، ولاترهب أمراً .

يمليخا : مذ رأيتكما كضين هربآمن المذبحة حَـــدَسْتُ وعَجبتُ ولكن أذْهَلَنى أمر نجاتكما عن كل شىء . وأتينا الكهفَ ، فسكنت إلى نفسى أفكر فى أمركما حتى دَهَمنى نوم ثقيل لم أصحُ منه إلا الساعةَ ، وكأن بأضلعى كَسْراً . .

مشلينيا : ماالذى حيّرك من أمرنا ؟

يمليخا : دقيانوس عدوّ المسيحية ما كان يعلم أن وزيره مسيحيان !

مرنوش : (فى اندفاع مقصود) وهو لا يعلم كذلك أن ابنته مسيحية ... هذا الأمر بذبح المسيحيين

يمليخا : (فى استغراب) ابنته الأميرة بريسكا ! ؟

مشلينيا : (فى صيحة عتب ولوم) مرنوش !

مرنوش : وأى حرج أن أخبر يمليخا بهذا ؟ إلا أن أكون ذكّرت قلبك يامشلينيا . .

يمليخا : معذرة يامولاى ! ألم أطلب العلم إلا بأمر واحد : كيف عرف الملك سركما ؟ أمكيدة ؟ أو شاية ؟

مرنوش : أخبره أنت يامشلينيا .

مشلينيا : أريد الخروج من هذا المكان .

مرنوش : أيضاً ؟ يالمصيبتى بك !

مشلينيا : قلت لك لا أستطيع المكث هنا يوماً آخر .

مرنوش : أيها الأرق ! أما كفاك أنك أوقعتنا فيما نحن فيه ؟

مشلينيا : إنك حاقد علىّ !

مرنوش : بل أحمد الله على أن رسالتك المشئومة لم يكن بها غير اسمينا ! (مشلينيا لا يجيب) نعم . إنها من سوء حظى الرسالة الأولى والأخيرة .

مشلينيا : من سوء حظك . حقيقة .

مرنوش : طالما حذرتك الكتابة إلى پريسكا .

مشلينيا : صه !

مرنوش : لكنك هذه المرة قد ذهب رشدك دفعة واحدة .. فكتبت ثم دفعت الرسالة إلى وصيفة غيرى تضمر لكما الشر . ألا تذكر أنى نبهتك يوماً إليها وقد لحظت منها أشياء ، أو لم تجد رسولا سوى هذه المرأة ؟ (مشلينيا لا يجيب) يا لقلة الحذر ! أو لم تخبرنى أنك قبل الرسالة المشئومة بقليل أهديت إلى پريسكا يداً بيد صليباً صغيراً من الذهب استصنعته لها ؟ . فماذا عليك لو أنك أعطيتها الرسالة كذلك يداً بيد ؟ (مشلينيا لا يجيب) ولكنك تزعم أنك لم تستطع ، فلقد كتبتها بعد ذلك على عجل .. نعم كى تخبرها أنك ذاهب بصحبة مرنوش

تصلى سراً صلاة الفِصْح وتذكرها فى الصلاة !

(مشلينيا لا يجيب) بصحبة مرنوش ! !

مشلينيا : نعم ، كلمة لو لم أخطّها . .

مرنوش : لكنتُ نجوتُ بجلدى .

مشلينيا : أجل كنتَ نجوتَ بجلدك .

مرنوش : ولما كنتُ خسِرْتُ مكانى عند الملك ولما جئت أحطم عظامى على أرض هذا المكان المُوحش هذه الليلة . ولما تركتُ امرأتى وولدى وحدهما فى عذاب القلق وسْط هواء المذبحة .

يمليخا : (بعد لحظة صمت) مولاى ! أو تركت أهلك فى الخطر !

مرنوش : أحمد الله على أن ليس أحد يعلم أنهما مسيحيان ، ولا أنهما يمتّان إلى بصلة إن أمرز واجى سرّ لا يعرفه غير ثلاثتنا الآن . ثم إنى أخفى امرأتى وولدى عن الناس فى بيت منفرد منذ سنوات . . كلا . . لا خوف عليهما . . لقد عَصفت قبل اليوم مذابح ومجازر فلم يمتدّ إليها أذى

يمليخا : ذلك من فضل المسيح .

مرنوش : قل هو سوء المصادفة أن يظهر سرُّنا للملك ، ولما يمضِ يومان على أمره بذبح المسيحيين .

يمليخا : نعم إنى أتخيل مبلغَ غضبه .

مرنوش : قيل انه جعل يَجْأرُ ، والرسالة فى يده يتلوها ضاحكا ضحكات مخيفة ، ونادى ابنَته ، وأطلعها عليها وهو يصيح بمن حوله أن أعِدّوا أقفاصَ السباع الضاربة ، فلسوف نقدم لها وليمةً لا تنساها .

يمليخا : يا لَلْهَوْلِ . . .

مرنوش : لو لم تنسَلَّ الأميرة بريسكا إلى باب القصر تنتظر أوْبَتَنَا من صلاة الفِصْح لتدعونا إلى الفِرار . . .

يمليخا : هو المسيح شاء لكما النجاة

مرنوش : نعم . ولكن أية نجاة هذه التى تفصِلُ بينى وبين امرأتى وولدى ؟ آه ! كلما أذكر ابنى ينهض هذا الصباح ولا أقبله . . .

يمليخا : كم تحب أهلك !

مرنوش : إنى إنما أحيا بهما ولهما .

يمليخا : صبراً ! إن رحمةَ الله قريب . .

مرنوش : حقيقة ! قربَ السماء من الأرض ! تلك الرحمة التى لا تسعف إلا مَن يستطيع الانتظار !

يمليخا : لا تسخر . إن الله حق .

مرنوش : لاشأن لله بنا هاهنا. نحن اللذان أوقعنا بنفسينا فى التهلكة . ومع ذلك . . . فانى ما أوقعتُ نفسى .

يمليخا : كلّ شىء على هذه الأرض بأمر الله .

مرنوش : إلا ما نحن فيه . فقد حدَث بفعل إنسان .

يمليخا : (مستنكراً) أستغفر الله ! هذا كلام لا يلفظهُ مؤمن !

مشلينيا : (يحاول النهوض فتؤلمه عضلاته) آه !

مرنوش : إلى أين ؟

مشلينيا : سيذهب هذا الإنسان كى يصلحَ فعلته .

مرنوش : ويحك ! ماذا عساك تصنع ؟

مشلينيا : سأذهب إلى الملك توًّا وأقول له : « إنى جنيت على مرنوش ظلماً ، وإن اسمه فى الرسالة لا يعنى شيئاً . وها أنذا أقدّم حياتى . »

مرنوش : اقعد . وكفى هذراً ! قل إنك ذاهب لترى حبيبتك

مشلينيا : وا أسفاه !

مرنوش : علام تأسف ؟

مشلينيا : ما كنت أعرفك سيء النفس بهذا المقدار ..

مرنوش : كفى . اقعد ، ولا تكن سبباً فى نكبة أخرى .. مهما تقل للملك لا يصدقك وربما حملك الأرهاب والتعذيب على الإخبار بمكانى .

مشلينيا : (يعود إلى العقود فى قنوط) يا إلهى ! ماذا أستطيع لك إذن ؟

يمليخا : دع الأمر للمسيح .

مشلينيا : ليت المسيح يعلم بما يُوقرُ ضميرى .

يمليخا : أو تشكُّ فى أنه يعلم ! أستغفر الله ! اعتقد أنه يعلم ، وأنه سيخفف عنك ..

مشلينيا : متى ؟

يمليخا : متى ؟ اللهم رحماك ! إنا لا نملك حق سؤال كهذا إنما ينبغى لنا أن نعتقد ..

مشلينيا : إنى أعجب بإيمانك يا يمليخا .

يمليخا : إنى أؤمن بالمسيح لأنه حق . ولا يمكن أن تكون هذه البشرية قد بذلت أرواحها وسفكت دماءها من أجل شيء غير الحق .

مشلينيا : أُولِدْتَ مسيحياً ، أم اعتنقت الدين على كِبَرٍ ؟

يمليخا : بل ولدتُ مسيحياً ...

مشلينيا : مثلى إذن .

يمليخا : نعم . ولكن الإيمان الحقيقى ، إيمان اليقين والاقتناع لم يضىء كل نفسى إلا من يوم سمعتُ ذلك الراهب يتكلم تحت أسوارَ طَرَسُوسَ .

مشلينيا : أى راهب ؟

يمليخا : كان ذلك منذ خمسةِ أعوام إذ بلغتُ الثلاثين . وما كنتُ بعدُ أفكر فى غير غنمى . وكنتُ أُدين بالمسيحيَّة اسما بحكم الوراثة وحدها ، لا عن شعور واقتناع ، حتى كان يوم ذهبت إلى مدينة طرَسُوس فى بعض شأنى ، فلمحتُ خارجَ أسوارها راهباً يتكلم فى جمع صغير

تخفيه عن الأعين خرائب قديمة وأحجار، فاقتربت وطفقتُ أصغى، وإذا بى كأنى انقلبت إنساناً آخر، وكأنى عينىَّ تريان ما كانتا عنه غافلتين.

مشلينيا : ماذا كان يقول ذلك الراهب ؟

يمليخا : لست أذكر شيئاً مما قال. لكنى لن أنسى ما شعرتُ به إذ ذاك: إحساس لم يعترنى فى حياتى من قبلُ إلا مرة. إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب، فأشرفت على منظر بالخلاء لم أرَ أجملَ منه. فلبثت ليلتى أفكر وأستذكر، أين رأيت هذه الصورة من قبل ؟ أفى الطفولة ؟ أفى الأحلام ؟ أم قبل أن أولد؟ إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولا عندى. وقمت فى الفجر فذكرت صورة البارحة، وفجأة برقتْ فى رأسى فكرة هذا: الجمال كان موجوداً دائماً منذ الأزل، منذ وجدت الخليقة. هذا الإحساس بعينه هو ما شعرتُ به وأنا أصغى إلى الراهب. إن كلامه الذى أسمعه أول مرة ليس مع ذلك جديداً عندى أين سمعته؟ ومتى ؟ أفى

الطفولة؟ أفى الحلم ؟ أقبل أن وُلدت ؟ وتولدت فى نفسى عقيدة أن هذا الكلام هو الحق، إذ لا أتصور بدء الوجود بدونه ، ولا انتهاءه بدونه ...

مشلينيا : (فى شبه دهش) مرنوش ! أسامع ؟

مرنوش : نعم . . .

مشلينيا : ما تقول فى ذلك ؟

مرنوش : أقول إن هذا الراعى يتكلم هُراء، ولا أفهم ما يقول .

مشلينيا : أنتَ لا تفهم شيئاً سوى أنك غبت ليلةً عن امرأتك وولدك .

مرنوس : (فى شبه تهكم) وأنتَ ماذا فهمتَ منه ؟

مشلينيا : فهمتُ أننا بعيدان عن الله . وأن قلبينا مشغولان بغير الله . . .

مرنوش : وأىّ بأس فى ذلك ؟

يمليخا : (مستنكراً) اللهم رُحماك ! (ينهض)

مرنوش : إلى أين أيها الراعى المتنسِّك ؟

يمليخا : (فى تردد) إلى . . . إلى . . إنى أحس الجوع .

ألا أذهبُ إلى المدينة تحت الظلام أحضر طعاماً لكما ولى . .

مرنوش : (فى ارتياب) وهل ستعود إلينا ؟

يمليخا : إنى أترك قِطميراً هنا .

مرنوش : (يشير إلى الكلب فى دهشة) انظر ... انظر ؟ هاهو ذا ينهض . عجباً ! أترى شبحه كيف يتلوّى فى الظلام وكيف يتمطى ؟ يخيل إلى أن كل من نام فى هذا الكهف يصحو وكأن أعضاءه متكسرة (لحظة) صدقت يايمليخا . ينبغى أن تشترى لنا طعاماً . لقد ذكرتنا بالجوع . إنى أحس كأن مَعِدَتى خاوية خالية حتى من الهواء ! وأنت يامشلينيا ألستَ جوعانَ ؟ (مشلينيا لا يجيب) لا تجيب ؟ لعلك مشغول حتى عن الجوع !! (بعد لحظة) يخيل إلىّ أنى لستُ جوعانَ كما ينبغى . إنى أحسّ كأن عضلات بطنى قد صدِئَتْ أو نامت هى الأخرى وتحتاج إلى منبه . يمليخا : كم تحسن صنعاً لو شَرَيْتَ لنا ما يحرك شهوتنا للطعام هل معك نقود ؟

يمليخا : معى ..

مرنوش : (وهو يدسّ يده فى جيبه) بل انتظر! كانت معى أمس فيما أذكر دراهمُ من الفضة . إنها لم تزل فى جيبي خذ .. (يمليخا يأخذ منه النقود ويخرج).

مشلينيا : أتدرى يامرنوش مايجولُ برأس هذا الراعى الآن؟

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : ألاترى أنه أسرعَ إلى مغادرة المكان ، لأنه لم يطق سماع كلامك ؟

مرنوش : حسناً فعل.

مشلينيا : نعم . ولعله أصاب فى رأيه . أنا أيضاً أشكّ . .

مرنوش : فيم تشكّ ؟

مشلينيا : حبُّنا لأنفسنا أقوى من حبنا لله وأكاأدرى أنّنا لانثق بالله كثيراً .

مرنوش : ألم نُصلِّ له ؟

مشلينيا : نعم . كى تسألهُ الخير لامرأتك وولدك .

مرنوش : وأنت لبريسكا .

مشلينيا : كنا نصلى له على الأقل ... ولكن مذ جئنا الكهف فنحن لا نفكر فى غير من ... (مستدركا) فأنت لا تفكر فى غير من تحب. وإذاً أنت ناقم علىّ وعلى الله والمسيح وعلى كل من سبَّبَ لك الفراقَ فلتنتقِم علىّ يا مرنوش ولا بأسَ . أمّا الله والمسيح ...

مرنوش : لستُ ناقما عليك يا مشلينيا ولا على الله والمسيح .. لأنى لستُ أفكر فى أيكم الآن .

مشلينيا : أرأيتَ ؟ هذا عينُ ما أريد قوله . إنا لا نفكر فى الله

مرنوش : مشلينيا ! أتصغى إلىّ ؟

مشلينيا : نعم ...

مرنوش : إن الله وقد خلق لنا قلوبا قد نزل عن بعضِ حقه علينا .

مشلينيا : (بعد تفكير يصيح فى فرح) قد تكونُ صادقا فى هذا يا مرنوش ... (فى شك) لكن ..

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : الراعى . هذا الراعى الذى نبهنا إلى الله الآن . ألا ترى كيف يذكره والمسيح فى كل وقت !

مرنوش : إن صاحبك الراعى لَخِلّ فما يضيرُه أن يمنح قلبه كله لله أو للشيطان .

مشلينيا : (فى تأمل أو كمن يقنع نفسه) أصبت . . .

(صمت)

مرنوش : (فجأة) ذهب يمليخا الراعى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منه ؟

مرنوش : لو أنى وجهته إلى بيتى فى طريقهِ يرى زوجى وولدى ، وينبئهما بخبرى وبقرب أوْبتى ؟

مشلينيا : إنه لا يعرف منزلك . ما تقول لو ذهبتُ أنا ؟ إن مرآى وحده قد يملؤهما اطمئنانا . . .

مرنوش : (فى تردد) أخشى أن ترتكبَ غلطة فتفسدَ علينا الأمر

مشلينيا : لا تخشَ شيئا .

مرنوش : آه ! . . . ستذهب طبعا بعد ذلك إلى حيث تراها أيها الخبيث !

مشلينيا : وأى ضرر فى هذا ؟ إنها تنتظرنى . هى أيضاً ، تنتظر منى خبراً أتذكر يومَ وقفتْ خلفَ الباب تحملنا على

الهرب ؟ أتدرى ماقالت لى وهى تودعنى وأنت تجذبنى من ذراعى تستعجلنى ؟ لقد قالت إنها سترقبنى من نافذتها بعد ثلاثة أيام عند مطلع الفجر

مرنوش : وهل انقضتْ بعدُ الأيامُ الثلاثة ؟

مشلينيا : لا بأس. أذهبُ على كل حال أتجسس وأعود...

مرنوش : وإذا لمحك أحد ، وعرف من أنت ؟

مشلينيا : لاتخف. سأتسلل فى الظلام ولا أرى أحداً وجهى

مرنوش : (فى عزم وقوة) كلا . فى خروجك خطر.

مشلينيا : (فى غيظ كظيم) أتأبى على ؟ ..

مرنوش : نعم .

مشلينيا : ما أشد أثرَتك !

مرنوش : أنا ! ؟

مشلينيا : نعم أنتَ .

مرنوش : ياللوَيل ! أنسيت وشيكا ما كنت لك دائما ؟ وما كنت لك فى حبك هذا على الأخص ؟ .

مشلينيا : إنك اليوم محوت كل شىء طيّب من ذاكرتى

مرنوش : لأنى أبديتُ بعضَ الحذر من نزَقِ محب مثلك . .

مشلينيا : بل لأنك لا تفكر منذ جئناهنا إلا فى نفسك ، وفيما يمكن أن يعرضك للخطر .

مرنوش : وأنت لا تفكر إلا فى الذهاب إلى من تحب ، ولو جلبتَ على من معك الوبال . فأيّنا شديد الأثرة ؟

مشلينيا : أنتَ .

مرنوش : أنا أيضاً ؟ ما أعمى عينَ المحبِّ وما أكفرَه . .

مشلينيا : قل هذا لنفسك أنتَ كذلك على الأقل . .

مرنوش : إنى أرى عيوبى ، ولا أكفر بفضل إنسان .

مشلينيا : (فى تهكم) لو أن الراعىَ هنا لأخبرك أنك كفرتَ على الأقل بالله والمسيح .

مرنوش : على الأقل ؟

مشلينيا : نعم . لأنى لا أودّ أن أذكرك بأحد آخر ...

مرنوش : إنك لفتى سيىء النفس

مشلينيا : أنا ؟ .

مرنوش : نعم : إنى لستُ مثلكَ يسهل محوُ كلِّ شىء طيب من

ذاكرتى. إنى لا أستطيع أن أنسى يامشلينيا أنك الوحيد الذى عاونى فى زواجى الخفى.. ولازمنى فى كل ظرو فى الحرجة التى مرّ بها تأسيس هذه الأسرة المحبوءة، إنى لا أستطيع أن أنسى أنك كنت تفرُشُ معى المنزل وتحمل إلينا على ذراعيك ليلا الخُضَر والفاكهة إذ كنا لا نأتمن خادما ولا عبداً على سرّنا. ولا أنسى يومَ وُلِدَ ابنى أنك جعلت تحوك أثوابه الصغيرةَ وقلانسةَ يديك قُبيلَ نزوله إلى هذا العالم. أجل لولاك ما كنتُ أستطيع أن...

مشلينيا : لا أريد أن نذكر هذا. أريد فقط أن تذكر أنك اليوم أضفت إلى ما أنا فيه ألم وخز الضمير بترديدك وتلميحك فى كل لحظة أنى سببُ مصيبتك.

مرنوش : (فى عتاب وتأنيب) أهذه أولُ مرّة عرضت فيها نفسى للخطر من أجلك؟ (مشلينيا لا يجيب) ألا تعترف مرة بما فيك من عيب المحبين؟ العمى والكفر والنسيان. أنت كذلك على الأقل! قُل.

مشلينيا : (يهدأ) أعترف أنك عرضتَ نفسَك للخطر من أجلى حقيقة .

مرنوش : وإذن؟ أفلا تسمح لى ببعض التبرم البرىء فى ساعة ضيق ؟

مشلينيا : وأنا ؟ متى كفرت بك ؟

مرنوش : إن الحب ليبتلع كل شىء حتى الصداقة . وحتى الإيمان

مشلينيا : حتى الإيمان ؟!

مرنوش : لأنه هو نفسه إيمان أقوى من كل إيمان .

مشلينيا : أدْرِك ما تعنى . .

مرنوش : ماذا أعنى ؟

مشلينيا : لولا امرأتك المسيحية لما كنتَ اعتنقتَ دين المسيح . أنت الوثنىُّ المؤمن بالوثنية وساعد دقيانوس الأيمن فى مذابحه السابقة !

مرنوش : ولولاك أنت لما اعتنقتْ الأميرة بريسكا دين المسيح وهى المؤمنة بدين أبيها دقيانوس !

مشلينيا : (يكتم اغتباطه) مرنوش ! أتراها حقيقة تركت دينها لهذا السبب ؟

مرنوش : وهل فى هذا شك ؟

مشلينيا : أنت دائماً تُفهِمنى ذلك .

مرنوش : لأنك لا تريد أن تفهم أيها الأحمق .

مشلينيا : (مستنكراً فى فرح) نعم . إنى لن أنسى تلك الليلة التى طالما حدثتُك عنها . ليلة كانتْ فى ثياب بيضاء تخطِر فى بهوِ الأعمدة حيث موعدنا بعد سكون القصر . لقد قلتُ لها وقتئذ فى غير حذر «إنك مَلَكٌ من ملائكة السماء» .. فنظرت إلىَّ دَهشَةً ، وسألت عن معنى الملك فقلت لها فى ارتباك هو اسم فى المسيحية لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات الأرض ، ثم صمتُّ لحظة وقلتُ لها مومِّئا : «ليتنى كنتُ مسيحيا» فقالت : «لماذا ؟» قلت » حتى أستطيع أن أكون خطيبَكِ أمام الله ، وأن يكون بيننا عقد مقدس لا يستطيع أحدنا الحِنْثَ به » فقالت » : «أهذا فى المسيحية ؟ وصمتت لحظة ، ثم قالتْ فى سذاجة وحياء : ليتنى أنا أيضا كنت مسيحية ! » .

مرنوش : وبعدئذ بقليل كنتَ ببابي كالمجنون فرحا .

مشلينيا : نعم . ومن فورك أخذتَ تفكر لي وتدبر الأمور . .

مرنوش : وكان أن ذهبتما سرا إلى الراهب كي يدخلها في الدين .

مشلينيا : بفضل رأيك ومعونتك . مرنوش ! حقا لست أنسى حَرجَ موقفك يومئذ ، وقد لبثتَ بعد ذهابنا ترقب عودتنا وتقول لدقيانوس إذ يسأل عن ابنته : إنها مع وصائفها في الحمام وتقول لوصائفها القلقات : هي عند أبيها ، أجل ! غير أني لا أرتعد لذكرى شيء مثلما أرتعد لذكرى دقيانوس ، وقد فاجأني مرة في بهو الأعمدة ، أنتظر بريسكا وفي يدي الكتاب المقدس . إني لم أزل أسمع صوتَ الملك وهو يقول لي وأنا من الهلع لا أعي : «ما هذا الكتابُ بيدك ؟» وهنا تقدمت أنت يا مرنوش وخطفتَه من يدي وقلتَ مجيبا : « هذا كتابي يا مولاي نسيتُه في هذا البهو » عندئذ أدركتُ أنك مستعد أحيانا للهلاك من أجلي .

مرنوش : لا من أجلك ، بل من أجل محبّ وخطيبٍ أردت أن أحفظه لخطيبتِه .

مشلينيا : شكرا لك يامرنوش ... لكن ..

مرنوش : لكن ماذا .

مشلينيا : لكنى مع ذلك لاأشكرك على ما كان منك اليوم .

مرنوش : أيضاً ؟ ؟

مشلينيا : (فى تأمل) نعم.. (بعد لحظة) لست أدرى. ما أعجبَ تركيب الإنسان ! فينا القوة أحياناً إلى حدّ العظمة والتضحية ، وفينا الضعف أحياناً إلى حد الحقارة والأنانيّة

مرنوش : كل هذا لأنى أمنعكَ اليومَ من الذهاب إليها .

(صوت صياح يدوى بين تجاويف الكهف)

مشلينيا : (مُرْهِفاً أذنه) صَهٍ

مرنوش : ما هذا ؟

الصوت : (يقترب ويصيح) أيها الوزيران !

مرنوش : من أنت ؟

الصوت : أنا يمليخا .

مرنوش : الراعى ؟ ولماذا تصيح هكذا ؟

يمليخا : أنتما في الظلام تنتظران الفجر، والشمس في كبد السماء!

مرنوش : أين هذا ؟

يمليخا : خارج الكهف .. ولقد عثرت بالباب فاذا هو دوننا ولا نعرف . ولكن .. شيء عجيب .. إن الحرارة والضوء لا يدخلان إلينا منه كأنما الشمس تميل عنه في ذهابها وإيابها ..

مرنوش : أهذا كل ما فعلت ؟ أين الطعام ؟

يمليخا : لو تعلمان ما رأيت وما سمعت ...

مرنوش : تكلم !

يمليخا : ما كدت أسير خطوتين حتى رأيت أمامي فارساً يلبس لباساً غريباً وكأنه صياد، فأبرزت له مما معي من فضة، عارضاً عليه شراء بعض صيده فما تبينني حتى كأنه امتلأ رعباً. ولكن فرسه يريد الركض، فأمسكت بزمام الدابة وأوقفت الرجل وأنا ألوّح له بالنقود وفي النهاية أخذ مني قطعة في حذر، وجعل يتأملها وأنا أرقبه وإذا هو يقول في تلعثم وخوف وعجب، وهو

يقلبها بين أصابعه : « دقيانوس ! ضُرِبَ فى عهد دقيانوس ! » ثم رفع رأسه متشجعاً وقال لى : « أمعك من هذا كثير ؟ » فأخرجتُ له كلَّ ما معي ، فقال أين وَجدتَه ؟ « قلت « ماذا » ؟ قال : هذه النقود القديمة ... هذا الكنز ؟ ! « فحسِبْتُ بالرجل مَسًّا فخطفْتُ منه قطعتى ، وبَعُدْتُ عنه وهو يَتْبَعُنى بنظرةِ عَجَبٍ واستطلاع وخَوْف ، ثم لكَزَ فرسه واختفى عن بصرى

مرنوش : صدقتَ . إن بصاحبكَ مسًّا .

مشليئيا : لا يامرنوش .. لاتتعجل ...

مرنوش : مالكَ ؟

مشليئيا : لقد داخلنى شك .

مرنوش : فى ماذا ؟

مشليئيا : فى زمن إقامتنا بهذا الكهف . ألا تذكرُ أنى أتيتهُ حليقاً ؟ ها أنذا الآن ولحيتى مُرْسَلة وشعرى يتدلَّى ، ما تنبهت إلى ذلك إلا الساعة ! وأنا أحكُّ رأسى بظفرى ...

بمليخا : نعم . نعم . أنا كذلك لحظتُ وأنا أُخرج قطعة الفضة للرجل أن أظافري طويلةٌ على هيئةٍ لم أعهدْها من قَبْلُ ، ومن يدْرِي لعلَّ الرجلَ ارتاع من منظر شَعَري المبعثر الأشعث . ونحن هنا في الظلام لا نلحظ شيئاً ولا يرى أحدُنا الآخرَ .

مشليينا : تُرَى ألبثنا أسبوعاً ونحن لا نشعر ؟

مرنوش : (يتلمس رأسه) صدقتما : أنا أيضاً لا أحسبُني جئت الكهف بهذا الشعر كلِّه في رأسي ولحيتي هذا عجيب ! انظر يا مشليينا . لو كنتَ تبصرُ في الظلام . أكاد بهذه اللحية أشْبِهُ القِدِّيسين على ما يخيل إليّ ..

يمليخا : لعلنا مكثنا شهراً .

مرنوش : ويْحَك ! شهراً ؟! وأين كنّا طول هذه المدة ؟

يمليخا : كنا نياماً .

مرنوش : أهذا كلامُ عاقل ؟

يمليخا : ولم لا ؟ إني سمعتُ من جدّتي ووالدتي وأنا صغيرٌ أن راعياً اعتصم بغار من سيل هائل ، وكان مؤمناً بالله

والمسيح ، فنام شهراً حتى انقطع السيل . فصحا وخرج سالماً كما دخل ، دون أن يشعر بالزمن .

مرنوش : تلك أساطير عجائز . .

يمليخا : إني أومن بهذه الأسطورة ، ولا أرى فيها عجباً . لقد قيل إن الجثث لا تفسد سريعاً في الغار لرطوبة المكان ، فكيف والشهر ممطر ؟ وكيف وإرادة الله والمسيح تشاء النجاة لذاك المؤمن !

مرنوش : (نصف ساخر) وفي حالتنا هذه ؟ ماتقول ؟ أهو المطر والسيل ؟ أم إرادة الله والمسيح ؟

يمليخا : في حالتنا هذه كذلك ... ألم أقل إني رأيت الشمس تميل عن الكهف على نحو عجيب ؟ أليس ذلك كي لا تؤذي حرارتها أبداننا ؟ هي إرادة الله والمسيح ، شاءت هذه الأعجوبة لتنجي المؤمنين .

مرنوش : (في تهكم خفيف) المؤمنين ؟ ، أشكرك يا يمليخا ! أظن أنه لولا وجودك معنا ما كانت إرادةُ الله والمسيح شاءت لنا أية أعجوبة ! !

مشلينيا : (ناهضاً فجأة) مرنوش!

مرنوش : إلى أين يامشلينيا ؟

مشلينيا : مهما يكن من أمر فلا ريبَ أن الأيامَ الثلاثةَ قد انقضت

مرنوش : تعنى أنك ذاهب إلى . . .

مشلينيا : ولن تمنعَنى قوةٌ فى الأرض .

مرنوش : (فى تهكم خفيف) وَلاَ فى السماء ؟!

(صوت ضجة خارجَ الكهف)

يمليخا : صَه ! اتسمعان ؟

مرنوش : ماهذا أيضاً ؟

يمليخا : (مرهفاً الاذن) هذا صوت أناس كثيرين ! . . .

مرنوش : (ناهضا بقوة) ويلنا ! هلكنا . . .

مشلينيا : هلكنا !

مرنوش : نعم . هؤلاء ولا ريب رجال دقيانوس جاءوا ليلتمسونا . أرأيت يايمليخا ؛ إن هذا الفارسَ المخبول قد ذهب ودلَّ على مكاننا . ألم أقل لكم لا خروجَ قبل أن نستوثق من الأمان ؟ وأنت يامشلينيا الذى كنت الآن على وشك الخروجِ !

(صوت الناس فى الخارج يقترب)

الناس : (صائحين فى الخارج) ياصاحب الكنز! ابرُز إلينا ياصاحب الكنز! لا تخَف! اخرج لنا ولا تخَفْ!.

مرنوش : أىّ كنز؟! ومن هو صاحبُ الكنز ؟!

يمليخا : (يشير بالصمت هامساً) صَهٍ ! صه!..

مشلينيا : (همساً) أخشَى أن يدخلوا علينا .

الناس : (تقترب من باب الكهف) هذا كهف! هذا باب كهف!.

(فئة أخرى من الناس): لكنه مظلم ! . . إنه مظلم . .

(فئة أخرى) أحضِروا المشاعل؟ أوْقِدُوا المشاعل!

مرنوش : (همساً) ما العمل ؟

مشلينيا : (همساً) إننا محاصَرون !

يمليخا : (همساً) فلنسلم أنفسَنا لله والمسيح !

(لا تمضى لحظة حتى يشعُّ فى داخل الكهف ضوء. ثم يشتد اللغط ، ويدخل الناس هاجمين، وفى أيديهم المشاعل. ولكن . . ما يكاد أول الداخلين يتبين على ضوء المشاعل منظر الثلاثة حتى يمتلىء رعباً ويتقهقر

وخلفه بقية الناس فى هلع ، وقد اضطرب نظامهم ،
وهم يصيحون صيحات مكتومة)

الناس : (فى تقهقر ورعب) أشباح . الموتى . . الأشباح . .

(ويخرج الجميع فى غير نظام تاركين بعض مشاعلهم ،
ويخلو المكان للثلاثة وكلبهم ، والضوء منتشر ،
ولكنهم ساهمون جامدون كالتماثيل . كأنما أرعبتهم
هم أنفسهم هاتان الكلمتان : « أشباح وموتى »
أو كأنهم لا يفهمون مما رأوا وسمعوا شيئا)

الفصل الثانى

بهو الأعمدة . الأميرة بريسكا بين وصائفها
وفى يدها كتاب . . . . . .

الأميرة : (متسائلة) أين مؤدبى غالياس ؟ لم أره هذا النهارَ .
(يبدو المؤدب غالياس مقبلا على عجل ، وهو شيخ طاعن فى السن أبيضُ الشعر . وتنصرف عندئذ الوصائف ، وتبقى الأميرة ومؤدبها)

غالياس : (وهو يلهَث) هأنذا أيتها الأميرة !

الأميرة : عجباً ! مالك تلهَث والعرق يتصبَّبُ من جبينك !

غالياس : كنتُ بالمدينة يا مولاتى ، ولو لم أذكرِ الساعة لما جئتُ رَكضاً .

الأميرة : ماذا بالمدينة ؟ أبى كذلك كان يطلبُكَ الساعةَ فى اهتمام غريب .

غالياس : (يتحرك بسرعة) الملِكُ يطلبنى ؟

الأميرة : (مستوقفة) انتظر ! أترى ما بيدى؟ كتاب الأحلام.
إنى رأيت الليلة حُلماً عجيباً يا غالياس !

غالياس : خيراً يا مولاتى ؟ . . .

الأميرة : رأيت كأنى دُفنت حية .

غالياس : (مفكراً لحظة) يا إلهى ! أيمكن أن يكونَ لهذا صلة بما شاع اليوم فى المدينة ؟ !

الأميرة : ماذا شاع بالمدينة ؟

غالياس : أن كنزاً من عهد دقيانوس مدفون فى كهف بوادى الرقيم .

الأميرة : (مستذكرة) دقيانوس ؟ !

غالياس : نعم دقيانوس صاحبُ عصر الشهداء . ألم أحدثك بخبرِه فيما حدثتك من قديم التواريخ ؟

الأميرة : أليس هو أبا تلك الأميرةِ التى تَسَمَّيْتُ باسمِها ؟

غالياس : ها أنتِ ذى قد ذكرت يا مولاتى . نعم هى ابنته . . تلك الأميرة القديسة التى تنبأ لك العراف ساعةَ ميلادك بأنك ستُشبهينها خَلْقا وإيمانا .

الأميرة : أوترى هذا العرّاف قد صدَق ؟ أوترانى أشبهها حقيقة ؟

إنى لا أكاد أعرف عنها شيئاً يا غالياس. وأنتَ لا تريد أن تطلعَنى على تاريخها. ما أقساك! إنك لا تُحسُّ مبلغ رغبتى فى معرفة تلك التى يزعمونَ أنى أشبهها ...؟

غالياس : أقسم بالمسيح يا مولاتى إنى أُطلعك على كل ما أعرف عن تاريخها، وكلّ ما وصل إلى علمِنا من عهدِها. ألم أقل لكِ إنها كانت مسيحية شديدةَ الإيمان بالله والمسيح فى عصرٍ كانت المسيحيةُ فيه مضْطَهدةً مغلوبة. ألم أقل إنها ظلمت تُخفى دينها عن أبيها الوثنىّ الظالم. وأنها ضلت راهبةً تأبى الزواجَ حتى استُشهِدَتْ عذراء فى سنِّ الخمسين ؟

الأميرة : إنك قلت لى مرةً يا غالياس إنها سُمعت تقول كلما أُرغمت على الزواج: إنها مرتبطة بعهدٍ مقدّس لن تحْنثَ به..

غالياس : أصبتِ يا مولاتى.

الأميرة : تَرَى مع من هذا العهد المقدس ؟

غالياس : مع الله يا مولاتى. مع من غير الله تريدينَ ؟...

الأميرة : كنتُ أحسَبُه مع من اختارَه قلبُها.

غالياس : (مستنكراً) حاشا لله يا مولاتى، أستغفر الله! أو يختار قلبها غير الله .

الأميرة : وما يمنع؟ إن قلب المرأة يتسع دائماً لله وغير الله. إنك لا تعرف قلب المرأة يا غالياس، لانك أحمق .

غالياس : مولاتى . إنى اطلعت على تاريخها كله .

الأميرة : (فى تهكم) ولم تفهم منه شيئاً، غير ما يمكن أن يفهمه شيخ مثلك .

غالياس . إنى أفهم الحقيقة . لقد كانت قديسة لا ريب فيها . وبالأمس عثرت على سفر قديم ورد فيه أن إحدى وصائفها كانت تسمعها دائما تقول : (إنى انتظر كل يوم ... وسأنتظر . ولن أمل الانتظار حتى يعود)

الأميرة : أرأيت ، من تنتظر من الذى يعود ؟

غالياس : المسيح يا مولاتى . تنتظر يوم عود المسيح من السماء

الأميرة : إذن كانت قديسة حقيقية ..؟؟

غالياس : وهل فى هذا شك !

الأميرة : لاشك ان هذه القديسة كانت تفضل أن تكون

امرأة لو أنها استطاعت .

غالياس : لا تهكمى يامولاتى . أتوسَّلُ إليكِ ألا تهكمى بجدتك العظيمة ؟

الأميرة : (وهى تعبث بصليب فى عنقها) أصحيح ياغالياس أن هذا الصليبَ الذهبىَّ الذى احملهُ فى جيدى منذ الطفولة كان صليبها ؟

غالياس : نعم يامولاتى إنه أَحد مُخلَّفاتها الثمينة . ويقال إنها رأتْ فى المنامِ ذاتَ ليلة أن المسيحَ يقلدُها إياها فاستيقظتْ فوجدته فى عُنقها فبهتتْ وتملكها فرحٌ عصبىٌّ ظل ملازِماً لها فى فَتَرات من حياتها حتى ماتت

الأميرة : إنها ماتت فى هذا البَهْو ياغالياس .

غالياس : نعم . لقد كانت تحبُّ العزلةَ دائماً فى هذا البَهْو . ولما احتُضِرَتْ فى حُجْرتها طلبت فى النَّفَسِ الأخير أن تُحتمل لتموت فى بَهْو الأعمدة ؟!

الأميرة : لماذا فى بَهْوِ الأعمدة ؟!

غالياس : من يَدْرى يامولاتى ؟ من يَدْرِى ؟

الأميرة : إذن هنا . فى هذا البهو عينه ، وربما فى هذا الموضع الذى نقف فيه الآن . . .

غالياس : نعم ... هنا . . مانت الأميرة القديسة بريسكا منذ ثلاثمائة عام !

الأميرة : (بعد برهة صمت) ما أشد شغفى بخبر تلك الأميرة !

غالياس : من يدرى يا مولاتى؟ قد تكونين أنت أيضا كما كانت وتصدق فيك نبوءة العراف !

الأميرة : (فى نهكم) أنا قديسة ؟ ! كل شىء إلا هذا .

غالياس : هذا ليس بكثير على ...

الأميرة : كلا . لستُ أريد . ليس هذا حلمى ...

(يسمع صوت فى الخارج)

الصوت : (فى الخارج ينادى المؤدب) يا غالياس !

غالياس : (يستدير سريعاً ويهمس) الملك !

الملك : (يدخل) يا غالياس ! أسمعت الخبر ؟

غالياس : نعم يا مولاى . خبر الكنز . .

الملك : بل الأشباح . .

غالياس : (وكذلك پريسكا) الأشباح ! ؟

الملك : (لغالياس) ألم تذهب إلى الغار مع الناس ؟ أين كنت إذن ؟

غالياس : كنتُ أصغي مع الناس إلى حكاية الصياد الذى جاء بالخبر، وكنتُ على وَشك الذهاب معهم إلى الغار ولكنى فجأةً تذكرتُ درس الأميرة .

الملك : لقد عاد هذا الصيادُ الآنَ يعدو على فرسه ويروِي عجبا: إنهم أبصروا بالغار ثلاثة مخلوقات مفزِّعة الهيئة، أشعارهم مدلاة . ويلبسون ملابس غريبة، ومعهم كلب عجيب النظرات ، فولَّوْا منهم رعْبا . . .

پريسكا : (خائفة) يا إلهى ! مخلوقات مفزعة . . ؟

الملك : لا تخافى يا پريسكا .

غالياس : (مفكراً) أمكن أن يكون هذا ؟ ! .

الملك : ماذا ترَى يا غالياس ! ؟

غالياس : ثلاثةٌ رابعُهم كلبهُم ! مولاى . أممكنٌ أن يكونوا هم ؟ !

الملك : من هم ؟

غالياس : (كمن يخاطب نفسه) نعم . نعم . . ثلاثة رابعهم كلبهُم . .

بريسكا : من هم يا غالياس ؟

غالياس : ألم أحدِّثكِ يا مولاتى فيما حدثتك عن تاريخ عصر الشهداء أن فتيةً من أشراف الروم هربوا بدينهم من دقيانوس ، ولم يظهروا ، ولم يُعلم عنهم شيء ، وقد لبثَ معاصروهم ينتظرون أوْبَتهم وينشئون عنهم الأساطير . مؤكدين عودتهم . . . ولقد قرأتُ كتبا قديمة تتنبأ بيوم يظهرون .

الملك : هذا ماقاله شيخ كان بين الناس فى الغار ، على رواية الصيَّاد .

بريسكا : (فى خوف وحب استطلاع) ماذا قال الشيخُ يا أبى ؟

الملك : قال للناس عندما رآهم ورأى لباسهم إنهم ليسوا بأشباح موتى ، لأن آباءنا وأجدادنا حدثونا عن فتيين من أصحاب دقيانوس هربا منه ولحق بهما راع وكلبه ، وأنهم اختفوا ، ولكن سوف يظهرون ، وكلما جاء عصر ، ذكرهم الناسُ وانتظروهم . .

بريسكا : ولكن يا أبت . . هاقد أوْشكَ أن ينساهم الناس فى عصرنا هذا ؟

غالياس : أجل يامولاتى . . إن القديسين لا يظهرون إلاّ فى عصرٍ يُنسَون فيه .

الملك : أتؤمنُ إذن بهذا يا غالياس ؟

غالياس : فى (حماسة وفرح) كلّ الإيمان يامولاى . نعم ، الآن لا ريب عندى فى أنهم هم . ولقد أظهرهم الله فى عصرك السعيدِ يامولاى ، لأنك مسيحى مؤمنٌ بالله واحدٍ ، ولأن عصرك عصرُ المسيحية الزاهرة . .

الملك : (فى فرح) ما أسعدَ حظى لو أن ما تقولُ صحيح !

غالياس : (فى فرح كذلك) صحيح ! يامولاى . هم . . . هم . . . ثلاثةٌ رابعهم كلبهم . القديس مرنوش ، والقديس مشلينيا ، والقديس يمليخا . والكلب قِطْمِير ، كما جاء فى كتاب الراهبين .

بريسكا : (فى شبه رهبة) هذا عجيبٌ ياغالياس ! إنى لا أستطيع أن أتخيّلَ هذا الذى تقول .

غالياس : (مستمراً فى فرحه وحماسته) إنى حَدستُ منذ أن وَصف الصياد هذا الرجل الغريب الذى طلع عليه

وأبرز له قطعة الفضة المضروبة باسم دقيانوس . أما الآن وقد علمتُ أنهم ثلاثة لا واحد ، ورابعهم كلبهم ، فقد انطبقت أوصافهم على ماجاء فى التاريخ ، فلا محل للحدْس والريْب .

بريسكا : (فى خوف وحب استطلاع) ولكن أين كانوا ؟ وهل لَبِثوا أحياء طولَ هذا الزمنِ ؟ !

الملك : (مصادقاً) نعم ياغالياس .. أجب ! أتعتقد أنهم مكثوا بالغار أحياء أكثر من ثلثمائة عام ؟ !

غالياس : (بعد تفكير) ولِمَ لا ؟ من يدرى ؟ ألم يبلُغك يا مولاى ماجاء بكتب الهند ؟

الملك : ماذا ؟ . . .

غالياس : قصة فى جزر اليابان تدعى قصة « أوراشيما »

الملك : وما دخلُها فيما نحن فيه ؟

غالياس : إنها تشبه قصة هؤلاء الفِتية ، ويظهر أنها وقعت حقيقةً يامولاى لأنّ سكانَ تلك البلاد يؤمنون بها إيماننا بقصة فِتيَة الكهف .

الملك : وهل ظهروا عندهم كذلك بعدَ اختفاءٍ طويل...؟

غالياس : أجل يامولاى. مدوّن فى التقاويم الرسمية لملوك تلك البلاد أنه فى السنة الحاديةِ والعشرينَ من حكم الميكادو «يوريا كو» خرج الفتى الصيَّادُ «أوراشيما» من إقليم «يوشا» للصيد فى قارِبه ولم يَعُدْ. ولبثَ — دون أن يُسمعَ عنه خبر — مدى حكم واحدٍ وثلاثينَ ملكا وملكة، أى مدى أربعة قرون... وعندئذ تقول التقاويمُ الرسمية إنه فى أثناء حكم الميكادو «جونجوا» ظهر الفتى «أوراشيما»... غير أنه ذهب وَشِيكامرة أخرى.. ولا يعلم أحدٌ إلى أين ذهب!

پريسكا : (مأخوذة، ثم بعد لحظة) وأين كان هذا الفتى الصياد ياغالياس أثناء القرون الأربعة!

غالياس : لستُ أدرى يامولاتى. هذا مبلغُ علمى تلك القصة

پريسكا : إنك دائماً كذلك ياغالياس سطحىُ العلم!

غالياس : (مستاء) مولاتى، بل هو ذكاؤك الذى لا يقنع بشىء.

الملك : (متفكراً) عجباً ياغالياس! إذن فى تلك البلاد أيضاً

يعتقدون عودةَ من يختفى بعد هذا القَدْرِ الهائلِ من السنين ؟!

غالياس : نعم يا مولاى . ولعل لكل جنسٍ من أجناس البشر قصةً كهذه .

الملك : إذن لا ريبَ عند الناس فى أن من ذهبَ سوف يعود ؟!

غالياس : نعم يا مولاى . ومن مات سوف يُبْعَثُ تلك قصة البشرية الخالدة، إذا كانت القصةُ ضميرَ الشعب كما يقولون ، وإذا كانت البشرية قاطبةُ على اختلاف أجناسها وأجيالها قد اتحدت وتلافت فى قصة واحدة. أفيمكن يا مولاى لضمير البشرية قاطبةً أن يخطىء ؟

الملك : (يضيق من تأمله) إذن ماذا ننتظر يا غالياس؟ لم لا تذهب إلى الغارِ فتأتى بهؤلاء القدِّيسين ضيوفا كراماً على قصرنا ؟

غالياس : (فى حماسة) أصبتَ يا مولاى . أشهدُ أن ليس فى ملوك الروم المسيحيين من هو أشدُّ تقوى ومسيحيةً منك،

الملك : (يستطرد فى حماسته) لماذا لم نُبْلِغِ الرهبان ورجال

الدين كلهم كى يقوموا بالشعائر والمراسيم بما لم يسبق له مثيل ؟ إنها لمناسبة تاريخية لا يمكن أن يرى نظيرَها دهرٌ من الدهور .

غالياس : أصبتَ يا مولاى، أصبتَ أيها الملك المؤمنُ . نعم فلنذهبْ يا مولاى .. فلنذهبْ . . .

(تسمع ضجة خارج البهو)

بريسكا : ما هذا الضجيجُ ؟

الملك : انظر يا غالياس ما الخبر؟ (غالياس يخرج سريعاً ملبياً)

بريسكا : (للملك) أبتِ ! أو تزعمُ حقيقةً إنزالَ هاته المخلوقات القصرَ ؟

الملك : أىّ مخلوقات يا بريسكا ؟

بريسكا : (فى خوف) أصحاب القصة . هؤلاء الأشباح الذين ملأوا من رأوهم رعباً .

الملك : أأنتِ خائفة ؟

بريسكا : (فى خوف) نعم .

الملك : (ملاطفاً) هدّئى روْعَكِ يا بريسكا . إنهم مثلُنا فى

كل شى . سترين . لاشك أنَّ الوهمَ هو الذى أخاف الناسَ منهم .

پريسكا : (خائفة) إنى لن أستطيعَ النومَ يا أبت كلما ذكرتُ أن هذا القصر يحتوينى أنا وأشخاصاً خرافيِّين جرت بهم الأساطيرُ منذُ القدَم .

الملك : كلا يا ابنتى . هم ليسوا أشخاصاً خرافيين . إنما هم قديِّسون وإن وجود هؤلاء القديسينَ بيننا لشرف عظيم وبركة كبرى .

غالياس : (يدخل مهرولا صائحاً معلناً) هم يامولاى هم ... هم ..

الملك : (مفاجأ يرتبك) مَن ؟

غالياس : أهل الكهف ..

پريسكا : (فى صيحة خوف خافته) آه ...

الملك : (فى رِعدة) كيف ..؟ كيف ياغالياس .؟ كيف جاءوا؟

غالياس : جاءهم إليك رَهْطٌ من الناس يامولاى ... ولعلهم اجتازوا الآن بابَ القصر ...

پريسكا : (فى خوف) غالياس تعال إلى جانبى ! لا تتركنى ..

غالياس : (فى حماسة) فلنستقبلهم يامولاى . فلنستقبلهم أحسن استقبال .

الملك : (بلاَ حراك) نعم فلنستقبلهم .

بريسكا : أبتِ ! لا تستقبلهم ! إنك خائف ! صوتك يتهدَّج فرقا

الملك : أنا ؟

بريسكا : نعم ! أقسم إنكَ خائف .

غالياس : مولاى إنَّ الملك مؤمن ، والمؤمن لا يخافُ القدِّيسين

الملك : صدقتَ ياغالياس ، صدقتَ . (الضجة تدنو منهم)

الملك : (فى اضطراب خفيف) اسمع ! ها . . هم . . أولا .

غالياس : فلأْهرَعنَّ إذن إليهم . .

بريسكا : (تستوقفه) بل ابقَ هنا كما قلتُ لك

(يسمع صوت مشلينيا قادماً)

مشلينيا : (صائحاً فى الخارج) لم يتغير شىء ياماليخا ! ها هو ذا بهوُ الأعمدة كما تركناه أمس !

هرنوش : نعم بهو الأعمدةِ لم يتغيرْ . . .

ماليخا : (فى صوت كالعويل) كل شىء تغيرَّ ، كل شىء تغير . . !

ثم يظهرون بشعورهم المُدَلاَّة ، ولحاهم الطويلة ، وثيابهم القديمة، يحيط بهم رجال القصر وجنود الملك)

بريسكا : (لاتكادتراهم حتى تصيح صيحة مكتومة ، وتتمسك بأهداب ثوب غالياس) ربّاه ! .

مشلينيا : (لايكاد يرى الأميرةَ حتى تصيحَ صيحة خافته غير مبالك) بريسكا ! .

بريسكا : فى رُعب تحتمى بغالياس) آه. اسمعتَ : قدلفظ اسمى

غالياس : (همساً) أرأيتِ ؟ إنه قدّيس .

الصيّاد يتقدم إلى الملك المأخوذ)

الصياد : مولاى ! لقد أتينا بهم من الكهف ليفصلَ الملك بنفسه فى حقيقة أمرهم .

مرنوش : (غامزاً مشلينيا وهامساً فى أذنه) ! هذا ولا ريبَ خليفةُ دقيانوسَ .

مشلينيا : (لايحس وجوداً غيرَ وجود الأميرة) بريسكا ...

بريسكا : (فى خوف)إنه ينظر إلىَّ نظرات غريبة . . غالياس لاأستطيع البقاء ها هنا .

(تجذب مؤدبها وتخرج معه من باب قريب، دون أن يشعر بها أحد إلا مشلينيا وهو دَهِش كأنه فى حُلم

الملك : (يتجلد ويتقدم إليهم. قائلا فى صوت متغير بعض الشىء) لقد نزلتم على الرحْبِ أيها القدِّيسون. إننا قد انتظرناكم طويلا كما انتظركم من قبلُ أجدادُنا وأجداد أجدادِنا، وإنه حقا لشرف عظيم أن ...

يمليخا : (الذى ما انفك يتأمل فى ما حوله بعين زائغة مرتاعة، يهمس لمرنوش) انظر إلى ملابس هذا الملك وهؤلاء الجند! فى أى بلدٍ نحن؟!..

الملك : (يستطرد) نعم إنه لشرف عظيم أن تخصُّونى بهذا الفخر وتظهروا فى عصرى دون عصور أجدادى المسيحيِّين.

يمليخا : (هامسا فى دهشة لمرنوش) هذا الملك مسيحىّ!!

مرنوش : (وهو يسكته) ألم تفهمْ غيرَ هذه الكلمة؟

الملك : (للصياد) وأنت أيها الصيادُ الذى دَلنا على مكانِهم الكريم... سأكافئك. نعم أيها القدِّيسون! إنا كنا ننتظر هذه اللحظةَ المجيدة، لحظة ظهوركم منذُ أمد

طويل كما هو مدوّن فى التاريخ .

مرنوش : (هامساً وكأنما يخاطب نفسه) هذا الملك مجنون !

الملك : إن قصرى — إن شئتم — منزلكم ومأواكم ، وكل حوائجكم مجابة ، وكل أوامركم مُطاعة . وليس لنا من مطمح غير خدمتكم ورضاكم .

يليخا : (همسا لمرنوش) ألم أقل لكم إن الله حق ؟ إن الشهر الذى مكثناه فى الغار قد حدث فيه العجب العُجاب . !

(مرنوش لا يسمع له ، ومشلينيا مشغول بما هو فيه من أمر الأميرة)

مرنوش : (يلتفت إلى الملك مجيبا) مولاى ! كم أحمدُ الله على هذه المعجزة الحقة ، إذ أهلك دقيانوس الظالم فى طرفة عين ، وأخلفك على العرش فى الحال . وكنت أودُّ أن أطنب فى شكر الله على توليتكم بين عشيّة وضحاها ، ملكا على أفئدتنا أجمعين ، لو لم تكن لى حاجة ملحة لا أستطيع عنها صبراً لحظةً واحدة .. (الملك يُبهت قليلا) أن يأذن لى الملك فى الانصراف على الفور ، إن امرأتى وولدى

ينتظران أوبتى فى قلق منذ أسبوع ، وربما أكثر من أسبوع ..

يمليخا : (هامسا لمرنوش) إنى خائف من هذا القصر ! (ثم يلتفت كذلك إلى الملك فى صوت مضطرب) وأنا كذلك يا مولاى لى غنم ترعى الكلأ فى مكان لا يعلمه سواى

مرنوش : (فى الحاح) أتأذنُ يا مولاى ؟

الملك : (مأخوذ مرتبك يبحث عن غالياس حوله) يا غالياس يا غلياس !

مرنوش : كلا ! الالزومَ يا مولاى . إنى أعرف الطريق إلى بيتى (ينحنى ويخرج حالا .. وينتهز يمليخا الفرصةَ ويخرج فى إثر مرنوش . أما مشلينيا فيبقى ويخرج من تأمله ويتقدم إلى الملك)

مشلينيا : مولاى . إنى لستُ خليقا بالمثول بين يديك ، والتحدث إليك الآن ، وأنا على ما ترى من سوء الحال أيأذن لى مولاى قبل كل شىء فى الذهاب إلى حجرتى أغيّر ملابسى هذه وأحلق شعرى الأشعث ولحيتى الطويلة

الملك : (فى دهش) يا غالياس ! . .

مشلينيا . كلا . لالزومَ يا مولاى ، كذلك أعرف حجرتى فى هذا القصر. فليعذرْنى مولاى إنى ماانتهتُ إلى رثاثة هيئتى إلا الساعةَ. هذا ولاريب قد نفَّر الأميرة الآن فلم ترد تحيتى . (يخرج من البهو تاركا الملك ومن معه جامدين فى دهشة عظيمة) .

الملك : (يتحرك قليلا نحو باب قريب منه) غالياس ! . .

غالياس : (من الخارج) مولاى ! (ثم يظهر مسرعا) هأنذا يا مولاى ! إن مولاتى الأميرة أبتْ على مفارقتها فى هذه الآونة. (ينظر إلى الملك الساهم) مابك يامولاى؟ (يلتفت حوله باحثاً) أينَ القديسون ؟

الملك : ينتبه ، وقبل أن يكلمَ غالياس يلتفت إلى الحاضرين الساهمين كذلك، فيأمرهم بالانصرافِ ،مشيراً بيده)

غالياس : (بعد أن ذهب الجميع ولم يبق غيره والملكُ ، يسأل فى قلق) أين القدّيسون ؟ .

الملك : القدّيسون ؟ .

غالياس : نعم . أين هم ؟

الملك : أتصغى إلى ياغالياس ؟

غالياس : بالطبع ياموﻻى .

الملك . (همساً) هؤلاء القديسون مجانين .

غالياس : (يُبهت) مجانين ! اللهم غفراً ؟ وأين ذهبوا ياموﻻى ؟

الملك : ذهبوا . . أحدُهم إلى بيته . .

غالياس : بيته ؟ !

الملك : هكذا قال ! والثانى إلى غنمه التى ترعى الكلأ . .

غالياس : والثالث ؟

الملك : الثالث راح يحلق .

(لايكاد المؤدب يفتح فاه عجباً حتى تسمع صيحات هلع نسوية خارجَ البهو) .

غالياس : ماهذا ؟ .

الملك : هذا هو ثالثهم . . انطلق فى القصر على ما أرى يرعب من صادفه من الحاشية . أسرعْ إليه ياغالياس . قُدْه إلى منزل الضيوف وأوص به الخدم والعبيد (المؤدب يخرج

سريعاً، ويتهيأ الملك للانصراف، وإذا مرنوش يظهر بغتة أمامه عائداً وحده) ربّاه (ويتراجع) إلى يا غالياس

مرنوش : مولاى! أتأذن لى بكلمة . إنك قلت الساعة إن حاجاتنا عندك مُجابة، وقد أذنت لى الآن فى الذهاب إلى بيتى، غير أنى عند خروجى تذكرت أنى سأدخل على امرأتى وولدى خالى الوفاض. وهما يحسبان أنى على سفر هذا الأسبوع. وتذكرت أنى منذ عام كان قد أوفدنى دقيانوس إلى الأقاليم، فغبت عن بيتى أربعة أيام. فلما عدت حملت معى إلى ولدى من الهدايا ما سرّ به سروراً . حتى إنه قال: « ليتك تسافر كل يوم يا أبت » ولاريب عندى أنه يتعزّى عن غيبتى بما يحسبنى سأحمله إليه من هدية . وليت معى نقوداً يا مولاى غير نقود دقيانوس هذه التى بطل استعمالها منذ ولايتك الميمونة .

الملك : (يتجه إلى الباب الذى خرج منه المؤدب) يا غالياس .

مرنوش : (متأملاً المكان ثم ثياب الملك) مولاى أصبت والله

بتعجيل هذا التغيير فى الملبس والمظهر عما كان عليه الحال فى حكم الوثنى دقيانوس . حتى يتميز حكمك المسيحى عن حكمه . . . نعم ما أحسن ملابس الناس الآن ، ولكن أعجب من ذلك أن يتم لك هذا كله فى بضعة أيام . ثم هذا الطريق الذى سار وا بنا فيه اليوم من الكهف إلى القصر . لقد تغير كثيراً ولبس حلة من التنسيق لم تكن عليه الأسبوع الماضى . . .

الملك : (متلفتاً إلى الباب) ياغالياس أقدم ياغالياس . . .

غالياس : (من الخارج) لبيك يامولاى . (يدخل مهرولا) مولاى . .

الملك : (يشير إلى مرنوش) إنك تستطيع أن تفهم ما يقول القديس .

غالياس : (يلتفت إلى مرنوش وينحنى فى خضوع وخشوع) يامن تظله هالة النور لقد ظهرت على الرحب بعد طول انتظار ، قضته الروم فى قلق ترقب عودتكم لا تقنط ولا تمل ، وقد ربط الله على قلبها بالإيمان . .

(مرنوش يتفرّس فى غالياس مرتاباً بعقله، ولكن غالياسَ يمضى قائلاً.) غير أن الجميلَ فى هذا أن يكون ظهوركم فى عصرنا نحن. كأنما قد خصصتم مليكنا السعيد دونَ من سبقوه، وآثرتم شعبه الكريم بشرف مرآكم العظيم ..

مرنوش: (لنفسه) أقسمُ بالمسيح إن هذا معتوه.

الملك: (هامساً للمؤدب) كل هذا قلتُه أنا قبلك. سَله عما يريد الآن

غالياس: يريد؟ وهل يريد إلا العزلة والخلوَّ إلى الله. يا مولاى فلأفعلنَّ به ما فعلت بصاحبه، أسيرُ به إلى منزل الضيوف وأوصى الخدمَ والعبيدَ أن يعنَوْا بقضاء حاجاته ويأتمروا بأوامره المقدسة.

«لمرنوش» هلمَّ يا صفىَّ الله.

مرنوش: (لا يتحرك) إلى أين؟

غالياس: إلى صومعتك الشريفة .. (يريد أن يأخذَ بيده).

مرنوش: «يدفعه عنه ويلتفت إلى الملك» مولاى .. أو تترك على هذا المجنون، «الملك وغالياس يتبادلان النظرات

ويدنو أحدهما من الآخر) مولاى ! إنى أنتظرُ أمرك لأذهبَ إلى بيتى .

الملك : (هامساً) أسمعتَ ياغالياس ؟ . أسمعتَ ؟

مرنوش : (فى تردُّدٍ) وإنى أنتظر .. برَّكَ بعبدِك الأمينِ وبيته .

الملك : (هامساً) ماتقولُ فى هذا ياغالياس ؟

غالياس : (يتقدم متشجعاً إلى مرنوش) أيها القديس ! إنا نعرفُ أين بيتك . لكن نسألك ضارعين ألا تفارقنا إليه الساعةَ . . .

مرنوش : (دهشاً) تعرفُ أين بيتى !

غالياس : (يلتفت إلى الملك فى شىء من الزَّهو ، كأنما استطاع أخيراً أن يتصل بالقدّيس) نعم . وهل يجهل مثلى مكانه ؟

مرنوش : (متعجباً) عجباً وكيفَ استطعتَ أنت أن تعرفَ مكانه . ولم أبح قطُّ بسرِّ بيتى لغير الأخصّاء ؟

غالياس : أولست من الأخصّاء ياصفى الله ، وأنا الذى ابيضَّ شعرُه فى ذكركم !

مرنوش : أنتَ أيها الرجل ؟ إنى لم أرَك إلاَّ اليومَ ؟ !

غالياس : نعم . هذا شرف عظيم ما كنت أحلم به يوماً ، وأنا أذكركم وأرقب عودتكم وأطلب القربى من سر بيتكم

مرنوش : سر بيتى ؟ أخبرنى كيف عرفت هذا السر ؟ . أريد أن أعرف من أخبرك بسر بيتى ؟

غالياس : (فى صوت عميق حار) الإيمان .

مرنوش : اسمع أيها الشيخ اسواء أكان الإيمار كما تقول أم غيره أريد الآن أن أعرف منك أين بيتى ؟ فى أى موضع ؟ إن كنت صادقاً ، فى أية ناحية ! فى أية جهة .

غالياس : (فى صوت عميق) فى السماء .

مرنوش : (ناظراً إلى الملك وكأنما يخاطب نفسه) ألم أقسم بأن هذا الشيخ مصاب فى عقله !

الملك : (همساً للمؤدب) اق أنت هنا يا غالياس (يتحرك الملك)

غالياس : (همساً) أتذهب يا مولاى وتتركنى ؟ (يهم الملك بالذهاب وإذا بصوت مختنق يدنو ، ويبدو مليخا فجأة فيرتد الملك إلى جوار غالياس) .

مليخا : (داخلا فى حال مضطربة مرنوش ، مشليفيا . أين

أنتما ؟ (يقع على ركبته بجوار مرنوش)

مرنوش : (دهشاً) ماذا دهاك ؟

يمليخا : (وهو يشير إلى الملك وغالياس) ويلاه ! أكنت تخاطبُ هذه المخلوقات ؟ !

(الملك وغالياس يتبادلان النظر ويرتدّان حتى يبلغا أقربَ باب) .

مرنوش : أجُنِنْتَ يا يمليخا ؟ ! (يشير إلى الملك وغالياس) هذا الملكُ وهذا الشيخُ المعتوهُ !

(عندئذ يخرج الملك والمؤدبُ في رِفْق ، من الباب ويتركان القديسَيْن !

يمليخا : أين مشلينيا ؟ أين مشلينيا ؟

مرنوش : مابك يايمليخا ؟

يمليخا : ادعُ مشلينيا على عجل ! ولنذهب ... ولنذهبْ ...

مرنوش : إلى أين نذهب ؟ !

يمليخا : إلى الكهف . ثلاثتنا وقطميرُ معنا كما كنّا .

مرنوش . لماذا ؟ ماذا فعلتَ ؟ ماذا حدثَ ؟

يمليخا : إلى الكهف . ثلاثتنا وقطمير معنا كما كنا

مرنوش : لماذا يايمليخا ؟ أجبْ .

يمليخا : هذا العالَمُ ليس عالَمنا . هذا ليس عالَمنا .

مرنوش : ماذا تَعْنى ؟

يمليخا : أتدرى كم لبِثْنا فى الكهف ؟

مرنوش : أسبوعا . (يمليخا يضحك ضحكات عصبية هائلة) شهراً على حسابك الخُرافى ؟

يمليخا : (على نحو مخيف) مرنوش إنّا مَوْتَى! إنا أشباح ..

مرنوش : ماهذا الكلامُ يايمليخا ؟

يمليخا : ثلثمائة عام تخيل هذا. ثلثمائة عامٍ لبثناها فى الكهف..

مرنوش : مسكين أيها الفتى .

يمليخا : هذا الفتى عمره نَيّف وثلثمائة عام. لقدمات دقيانوس منذ ثلثمائة عام. وعالَمُنا باد منذ ثلاثة قرون .

مرنوش : عالَمُنا باد ؟ وأين نحن إذن ؟

يمليخا : هذا الذى نرى دنيا أخرى ليستْ لنا بها صلة .

مرنوش : أشربتَ شيئاً يايمليخا ؟

يليخا : لستُ بشارب ولا بمجنون . إنى أقولُ لك الحقيقة . اخرج وطُفْ بهذه المدينةِ وأنت تفهم .

مرنوش : أفهم ماذا ؟

يليخا : تفهم أننا لا ينبغى لنا أن نمكث بين هؤلاء الناس لحظةً واحدةً ؟

مرنوش : ماالذى يخيفك من هؤلاء الناسِ يا يليخا ؟ أليسوا بشراً ؟ أليسوا من الروم ؟ .

يليخا : كلا ، إنهم ناس لا يمكن أن نفهم مَن هم ! ولا يمكن أن يفهموا مَن نحن . .

مرنوش : وما يضيرُك ؟ تجنَّبْهُم وامكُثْ بين أهلِك . . (متذكراً) ولكنك ذكرتَ لنا أن ليس لك أهل يا يليخا

يليخا : وإن كان لى أهل فهل تحسبنى واجدَهم بعد ثلثمائة سنة ؟

مرنوش : (فى رعْدةٍ) ماذا تقولُ أيها الشقى ؟ !

يليخا : (فى صوت كالعويل) أجل . إنا أشقياء . أشقياء . نحن ثلاثتنا وقطميراً معنا لا أملَ لنا الآن فى الحياة إلا فى الكهف . فلنعدْ إلى الكهف . هَلمَّ يا مرنوش !

ليس لبعضنا الآن سميعٌ ولا مجيب إلا البعض. هلُموا بنا: رحمةً بى! إنى أموتُ إن مكثتُ هنا.

مرنوش : أنت جُننت أيها المسكين!

يمليخا : لست بمجنون. إلى الكهف.. الكهفُ. كل ما نلك من مقرٍّ فى هذا الوجود! الكهف هو الحلْقةُ التى تصِلُنا بما لِمنَا المفقود.

مرنوش : (مفكراً فى اضطراب) أيستطيعُ العقل البشرى تصورَ ما تقول؟.. إنك ولا ريبَ صادفتَ من لعب بك، أو شُبِّه لك.

يمليخا : لم يُشبَّه لى. لقد سمعتُ الناسَ بأذنى تقول ذلك. وهذا كل مافهمت منهم. من هذه المخلوقات. وأنتَ يامرنوش؟ أفهمتَ مِن هذه المخلوقات شيئاً؟ أجب. ثم هذه الملابس العجيبة، وهذه التغييرات، والمدينة المقلوبة رأساً على عقب. اخرجْ وانظر. مدينة. طَرسُوس لن تعرفها ولن تتبينها

مرنوش : (يتفكر لحظة) صدقتَ قليلا فى هذا.. لكن..

يمليخا : لكن ماذا ؟ أليست لنا عقول ؟ إن هذا التغيير كله والتبديل فى كل شىء حولنا لا يمكن أن يحدث فى شهر ولا فى عام .

مرنوش : حقيقةً لستُ أفهم كثيراً . .

يمليخا : أرأيت؟ إنك لم تفهم شيئاً مما حولك. لأن بيننا وبينهم ثلثمائة عام !

مرنوش : ثلثمائة ؟ !

يمليخا : نعم .

مرنوش : ماتقول يا يمليخا لا يمكن أن يتخيله عقل بشر. وإنى لأتسامح إذ أعدُّك بعدُ عاقلا. وأنت تقول جاداً هذا الكلام . أتستطيعُ حقاً أن تعتقد أننا نمنا فى الكهف أكثرَ من ثلاثِ ليال ؟

يمليخا : إننا نمنا أكثرَ من ثلاثمائةِ سنة .

مرنوش : صه . . . كفى . . .

يمليخا : لقد دَهشتُ مثلَك يا مرنوش لكنه الواقع وعما قليل يثبت لك أنّا لبثنا فى الكهف هذا القدرَ من الأعوام.

مرنوش : أيتها السموات ، أعطيني العقلَ الذى أستطيعُ به تصوّرَ مايتفوّه به هذا المغرور ! إنك جُننتَ يامليخا.

هذا كل مافى الأمر .

مليخا : إنى أروى الحقيقة .

مرنوش : (يتفكر فى جهد) إنك ستُجنني معك . كلا ليس فى طاقةِ رأسى تصورُ هذا ، فليبلغ ما بيننا وبينهم ما بلغ . ماذا تريدُ الآن ؟

مليخا : الكهف .

مرنوش : أتريد أن ندفنَ أنفسنا أحياء فى هذا الكهفِ ؟

مليخا : نعم فلنذهبْ إلى عالمنا . .

مرنوش : اذهب أنتَ

مليخا : وأنت يامرنوش ؟

مرنوش : أنا لى أهل وبيت وولد ينتظرونى (يمليخا يضحك ضحكة رهيبة) مايضحكك هكذا ؟ أبكَ مسٌّ ؟

مليخا : ثلثمائة عام ! أنسيت ؟

مرنوش : (فى ضيق) نعم ثلثمائة عام فلنكن ، قلت لك ثلثمائة أو

أربعمائة عام! ماذا يضيرنى؟ وماذا يغيِّر هذا من حياتى؟
إننا الآن أحياءٌ. أتنكر أيضا أننا أحياءٌ فى هذه اللحظة؟
وأننا خرجنا من الكهف أحياءً بعد تلك الليلة الهائلة؟

يمليخا : إنها ليست ليلةً واحدة — قلت لك — بل أعواماً!.

مرنوش : (يصيح) إن لى عقلاً قبل كل شىء. إن لى عقلا!.
هاهو ذا فى رأسى أحسُ وجودَه. وهذا الكلام
الذى تقول يُنكره هذا العقل.

يمليخا : (يسمع حركة فيجفل) من القادم؟ إنهم آتون.

مرنوش : (ناظراً اليه) لماذا تخاف منهم هكذا؟

يمليخا : (كالهامس) لست أحبهم.

مرنوش. الآن، لاريبَ عندى أن ليلة الكهف المخيفةَ قد
أثَّرَتْ فى عقلك ياليخا.

(يظهر مشلينيا وقد حلق لحيته وشاربه، وارتدى
ثياباً كثياب العصر، وغدا فتى جميلاً)

يمليخا : (ممسكا بمرنوش خوفاً ومشيراً إلى مشلينيا) هذا واحد
منهم، انظرْ..

مرنوش : (ملتفتاً) مَنْ هذا ؟

مشلينيا : (باسماً) عجباً! ألم تغيِّر بعدُ ما أنتما عليه من هيئة زرية وثيابٍ أثريَّة ؟

مرنوش : (محدِّقاً فيه) هذا أنت يا مشلينيا ؟!

مشلينيا : (باسماً) كما ترى (يمليخا يلمسُ أطراف ثوب مشلينيا مستطلعاً) أيعجُبك الثوبُ يا يمليخا ؟

مرنوش : (وهو يستطلع كذلك، ويتأمل مشلينيا) حدِّثنا كيف استطعت أن تنقلبَ هذا المُنقلب ؟!

مشلينيا : (باسماً منشرحاً) الأمر بسيط. طلبتُ إلى الخدم والعبيد أن يأتوني بموسى أحلقُ ذقني وشعري. فلبَّوا الأمر.. ولكن ...

مرنوش : ولكن ...؟

مشلينيا : ولكن طفقوا يتغامزون ويتلامزون ! وكأنَّ بهم رهبة فصرت بهم ألاطفهم وأستدرجهم وهم فرِقون، حتى استطعت أخيراً أن أعلم منهم العَجَب العُجاب

أتدريان كم لبثنا في الغارِ ؟

مرنوش : أعلمت أنت أيضاً ؟

مشلينيا : أوَ تعلمان ؟

مرنوش : (فى تردد) ثلثمائة أم أكثر .

مشلينيا : مَن أخبركما ؟

يمليخا : (صائحا بمرنوش) رأيت ، أصدقتنى الآن ؟

مرنوش : (لمشلينيا) أو استطيع أن تتخيل هذا يا مشلينيا ؟

مشلينيا : لقد اتهمتهم بالجنون .

مرنوش : (ليمليخا) أسمعت أيها الراعى ؟

يمليخا : (فى قوة) أقسم بالمسيح

مشلينيا : لا حاجة لنا بقسمك . إنى مصدّقك يا يمليخا ، كما صدقت أخيراً أولئك العبيد .

مرنوش : أو صدقت ؟

مشلينيا : ولم لا أصدق ! ... كل شىء سواء ما دامت هى . . .

مرنوش : أصبت وماذا صنعتَ بعدئذ ؟

مشلينيا : لا شىء . طلبت إليهم أن يأتونى بثياب حديثة ، وأسرعتُ فخلعتُ ثيابى العتيقة .

مرنوش : حسناً فعلتَ . إن من السهل أن ألحظَ ما أوحى إليك بهذا التزين والتجمل أيها الخبيث ! كل هذا من أجل . .

مشلينيا : (فى فرح) أرأيتها يامرنوش إذ كانت هنا الساعة ؟

مرنوش : نعم . . (يشرُد لحظة ثم يقول) أنا كذلك يامشلينيا أحبُّ أن أفعلَ فعلك .

مشلينيا : (باسما) تريد التزيُّن والتجمل !

مرنوش : بل شيئا من النظافة وحسنِ الهيئة أدخل بهما على أهلى

مشلينيا : (ملتفتا إلى الراعى) ويمليخا كذلك ؟

يمليخا : (فى صوت باكٍ رهيب) دعا يمليخا فى شأنه . . أيها الفتيانِ ! إن يمليخا عمرُه ثلثمائة عام ! !

مشلينيا : مسكين يا يمليخا ، ونحن إذن ؟

يمليخا : أنتما محبَّان .

مشلينيا : أوَ ليس للمحبِّ عمر !

مرنوش : (لمشلينيا) دع يمليخا كما قال لك . لمن تريده أن يلبَسُ ويتزيّن .

مشلينيا : صدقتَ . إنه لا أهل له .

يمليخا : (ذاهبا فى كآبة) أستودعكما الله والمسيحَ !

مشلينيا : إلى أين ذاهب ؟

يمليخا : (ذاهبا فى كآبة) إلى الكهف ؟

مشلينيا : ويحك ! ماذا تصنعُ فى الكهف ؟

مرنوش : إن يمليخا يزعم أن الحياةَ مستحيلة بين هؤلاء الناس .

مشلينيا : (ملتفتاً إلى يمليخا) لماذا ؟

مرنوش : ويزعم أننا لا يمكن أن نتَّصلَ بهم ولا أن يتصلوا بنا . .

مشلينيا : ماذا دهاه ؟

مرنوش : بل أكثر من ذلك . . يرهبهم وينظر إليهم كأنهم مخلوقات عالَمٍ آخر . . ويتصور هذه المدينة دنيا لم يسبقْ له بها عهد . . .

مشلينيا : (ليمليخا الصامت المطْرِق) لماذا كلُّ هذا يا يمليخا ؟ (يمليخا لا يجيب)

مرنوش : وهل لهذا من سَبَبٍ إلا أنهُ مخوف أحمقُ ! ؟

مشلينيا : لماذا يامليخا لا تنظر إلى الحياة وإلى الأشياء كما ننظر إليها نحن ؟ أترْهبك كلمةُ ثلثمائةِ سنة ! فليكن مبلغُها ما يكون . إننا فى الحياة قبلَ كل شىء . إننا نعيش ونحسّ ونشعر . . .

مرنوش : هذا عين ماقلته له إننا نحسّ ونشعر ونعقل . وليس لدينا العقل الذى يصدّق أن ليلةَ الكهف تمخضتْ وولدتْ ثلثمائةِ عام وإذا كان هو يملك هذا العقل فعقله ولا ريب من طراز آخرَ أدقّ من طراز عقولنا

مشلينيا : أجِبْنى يامليخا ! ما الذى يجعلك تختلف عنا فى هذا . ومع ذلك ، هب أننا نمنا ما شئت من أعوام ، فماذا يغيّر هذا من حياتنا الآن ؟ ألسنا فى الحياة . نحمل قلوبا وآمالاً ؟

مرنوش : فلنتفكر معا قليلا يامشلينيا ! أيمكن لأىّ عقل أن يتصوّرَ هذا ؟

مشلينيا : مستحيل !

مرنوش : وإن ظهر أن هـــذا حقيقىٌّ ، أليس معناه

الجنون لا جميعاً ؟ اعترف !

مشلينيا : أعترف أن لاشيء يستطيعُ أنْ يغيرَ من حياتي الحاضرة أو المستقبلة .

مرنوش : ولا أنا كذلك .

مشلينيا : وأنت ياميليخا ؟ ماذا يغير أمرٌ كهذا من حياتك ؟ ولماذا تختلف الآن إحساسك بالحياة عن إحساسنا ؟ (يمليخا لا يجيب) يمليخا ؟ ألا تسمعني ؟ ألا تجيب عن سؤالي ؟

يمليخا : بالله لا تسألني الآن شيئاً .

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : تكلم ياميليخا !

يمليخا : في (حدة) قلت لكما لا تسألاني الآنَ شيئا (بعد لحظة بينما ينظران إليه في وجوم) لقد صرتما أنتما أيضا غريبين عني منذُ قليل . أنتما البقيةُ الباقيةُ بعد أن مضى كل شيء كحلم . وانطفأتْ عصور وأجيال في شبه ليلة واحدة . آه لو تعلمان أيها الأعميانِ ما رأيتُ الآن

فى شارع بطرسوس إن كانت هذه بعدُ مدينة طرسوس ! لو رأيتمانى وقد أحاطت بى ناس فى ثياب غريبة وعلى وجوههم ملامحُ عجيبة ! وهم ينظرون إلىّ نظراتٍ كاد قلبى ينخلع منها وكأنهم يتفحّصون أمرى تفحص من يحسبنى من عالم الجنّ . وأينما سرتُ فبم فى أثرى بنظراتهم المستطلعة الحذرة . لا أستطيع مخاطبةَ أحدمنهم ، وإن فعلت فلا أحسبنى أجد مجيبا بل نظرات صامته فزعةَ . يُخيَّل إلى أنى أموت جوعاً قبل أن يمدّ أحدهم يده بطعام . إنهم يظنونى ولاريب من خلقةَ لاتأكل ولا تشرب ، ولاشك أنى إن أردت سكناً فلن يُسكنى أحد بجواره وإن هبطت مكاناً فالكل هاربون وتاركوه لى ، لينظروا إلىّ عن كثب بعيونهم المستطلعة الحذرة التى لاتتغير نظراتها بل إنى سمعتُ أثناء هذا نُباحا خافتاً مخنوقا . فانتبهت فألقيت كلبى قِطميراً كذلك قد أحاطت به كلاب المدينة ، وطفقت ترمُقهُ وتشمه ، كأنه

حيوان عجيب ، وهو يحاول الخلاص من خناقها ، ولا يجد إلى ذلك سبيلا ، وجرى المسكين أخيراً إلى جدارٍ قريب ووقع تحته أعياءً ورُعباً والكلاب فى أثره ، حتى وقفت منه على قيد خطوة تعيد النظر إليه ، ويريد بعضها الدنو منه ، لمعاودة شمّه فيقصيه الحذر . هذا أنا وهذا كلبى قطمير فى هذه الحياة الجديدة ! أما أنتما فأعميان لا تبصران ! أعماكما الحب فلا أستطيع بعد الآن ان أريكما ما ارى ! ابقيا إذن ماشئتما فى هذا العالم . لقد صرت وحيداً فيه . وليس يربطنى إليه سبب . ولئن كنتما لم تحسّا بعد الهرم فانى بدأت أحس وقر ثلثمائة عام ، ترزح تحتها نفسى . الوداع يا إخوان الماضى ! اذكرا عهدنا الجميل ... عهد دقيانوس ! .. والآن ، استودعكما الله هانئين بشباب قلبيكما فى حياتكما الجديدة ..

(ويذهب فى بطء وكآبة على حين تتبعه أنظار مشلينيا ومرنوش فى صمت حتى يختفى ...)

الفصل الثالث

منظر الفصل الثاني عينه : بهو الأعمدة ،
مشلينيا ينتظر نافذ الصبر بين العمد . الوقت ليل
والمكان مضيء : يظهر غالياس فى حذر ...

مشلينيا : (يهرع نحو غالياس فى اهتمام) ما وراءك ؟ (غالياس يطرق فى خشوع) أين الأميرةُ ؟

غالياس : (فى تردد ورِعْدة) أيها القدّيس !

مشلينيا : أوَ لم تخبرْها بما قلتُ لك ؟

غالياس : نعم .. نعم ..

مشلينيا : وبماذا أجابت ؟

غالياس : لاشيء .. أيها القديس ...

مشلينيا : لاشيء ؟ ألم تقل لها إنى أطلبُ رؤيتها منذ البارحة ولا أجدُ إليها سبيلا ، وإنه لابدَّ لى من رؤيتها الليلة مهما يكن من أمر ؟!

غالياس : أيها القِدِّيس .

مشلينيا : فى (سأم وضيق) دَعْنِى من «أيها القديس» أخبرنى أنتَ ماذا قالتْ ؟ أخبرْنى بالله .. تكلم ..

غالياس : (مطرقا فى خشية) أيها القديس ..

مشلينيا : (ضَيِّق الذَرْع) قلتُ لك دَعْنى من هذا القديس . لاتنادِنى به بعد الآن . أتوسلُ إليك . إنى لست قديساً .. أفاهم ... ؟

غالياس : (مطرقا فى خوف) نعم .. أيها القديس .

مشلينيا : (يتفرس فيه) عجباً . إن هذا الرجلَ أحمق ولاشك . ماذا تصنع أنتَ فى القصر ؟ (غالياس لايحير جواباً) أجبْ . ماذا تصنع هنا ؟

غالياس : مؤدبُ الأميرة ..

مشلينيا : مؤدب ؟ ومؤدب الأميرة ؟ منذ متى ؟ إنى لم أرَكَ فى القصر إلا أمسِ ؟ .

غالياس : أيها القديس .. إنى ... إنى ..

مشلينيا : وبعد ؟ أفلا نفعَ يُرجى منك أيها الأبله ؟ أفلا تستطيع

أن تخبرنى بشىء عن الأميرة (كأنما يخاطب نفسه)
أتراها تقصد إساءتى والاغضاء عنى لأمر فى نفسها ؟!
أم ماذا يارب ؟ وأنتَ أيها الشيخ ألا تعاونى قليلا ؟
(غالياس مطرق ، وكأنه لا يفهم) اذهبْ ! اذهبْ
أيها الرجلُ ! لا أفلحتَ ..

غالياس : (فى خشوع وهو يريد الخروج) أيها القديس ...

مشلينيا : أكاد أجنُّ جنوناً . إنى بقربها ولا أراها . وهذه الوَحْدة حولى تكاد تقتلنى قتلا . لو أن هنا مرنوشَ على الأقل (كمن تذكّر) قف أيها المؤدب كلمة . (غالياس يقف خاشعاً) ألم يأتِ من مرنوشَ خبر منذ ذهب إلى بيته أمس ؟

غالياس : لست أدرى ، أيها القديس ...

مشلينيا : أولم يعدْ بعدُ حتى العبدُ الذى رافقه وحمل له الهدايا

غالياس : لست أدرى ... أيها القديس ...

مشلينيا : أنت لا تدرى شيئاً أيها المؤدب (كأنما يخاطب نفسه) هاهو ذا مرنوش قد نساه ولدُه وامرأته كلّ شىء فى

الوجود. وهأنذا لم أزل كما جئت أمسِ فى ترقُّبٍ وانتظار على غيرِ جدْوَى. أأستطيعُ أن أبيت تحتَ سقفِ هذا القصر ليلة أخرى ولم أكلمها بعد؟ أيها الرجل . . . أين هى فى هذه اللحظة ؟ .

غالياس : من أيها القديس ؟

مشلينيا : (فى حدّة) الأميرة ..

غالياس : عند الملك . . .

مشلينيا : عجباً! وما تراها تصنع عند الملك فى مثل هذه الساعة من الليل ؟ .

غالياس : أيها القديس . . . إن . . .

مشلينيا : (فى قوة) تكلم . . .

غالياس : إن الملك إذا أرِق طلبها لتقرأ له ..

مشلينيا : (شبه ثائر) فى مخدعه الخاصّ ؟. هذا الرجلُ الغريب عنها ؟. فهمتُ ، فهمتُ . أهذا هو العهدُ المقدس؟..

غالياس : (جاثياً) أيها القدّيس . أيها القديس . مغفرةً . إن الأميرةَ مسيحية كمن تحملُ اسمها، وحافظة للعهدِ المقدس

مشلينيا : (دَهِشا قليلا) كيف علمتَ ذلك ؟

غالياس : إنى أعرف الأميرة أيها القديس ...

مشلينيا : (فى رِفق) أهى قالتْ لك عن ...

غالياس : نعم أيها القديس نعم ...

مشلينيا : (فى لطف آخذاً بيده) تعال يا ... ما اسمُك أيها المؤدِّب ؟

غالياس : غالياسُ أيها القديس .

مشلينيا : تعال ياغالياسُ ،ولنتفاهمْ . إنى أراك تكتُم عنى أموراً .. وتهابنى وتجعل بُينك وبينى حاجزاً أكثرَ مما ينبغى لِمَ لا يفهم أحدُنا الآخر ؟ ما أيسرَ هذا لو أنك فتحتَ لى صدرَك قليلا ،وفتحتُ لك نفسى . (غالياس يحملق فيه) لماذا تنظر إلىَّ هكذا؟ ألستُ مثلَكم . انظر إلى ثيابى . ماالذى يجعلنى إذن غريباً فى عينيك . (بعد لحظة) أأنت واثق أن پريسكا حافظةٌ للعهد ؟

غالياس : ثقى بأنك ولىُّ الله الحق .

مشلينيا : دعنا من هذا الآن يا . . غالياس ...أخبرنى كيف سلوكها مع وَصِيِّها ؟

غالياس : (غير فاهم) وصيّها ؟ مَن ؟ أيها القديس !

مشلينيا : هذا الملِك .

غالياس : هذا الملِك أشدُّ تمسكا بالمسيحية أيها القديس وأكثرهم إيماناً بالله الواحد !

مشلينيا : (فى ضيق) لستُ أسألُ عن هذا أيها الأحمق ! (غالياس يطرق خوفا) إن هذا الملِكَ ليس من دمِ دقيانوس يما أظن . . .

غالياس : دقيانوس ؟ دقيانوس الوثنى ! حاشا لله أن يكون ملكُنا من دم ذلك المشرك الطاغيةِ الذى لعنَه التاريخ !.

مشلينيا : هذا ما أقول ياغالياس . . نعم . . إن هذا الملِكَ ليس من أسرة دقيانوس لأنى لم أرَه من قبلُ .. ولعله من القواد المسيحيين سرّاً ، جاء بجيشه فقلب دقيانوس فى يومين ، وجلس على العرش مكانه ، ونَصَب نفسَه قيما على بريسكا كلّ هذا حسن . ولكن .. أن يستبيحَ

لنفسه طلبها إلى مخدع نومه ليلا لتقرأ له كما نقول ..
(يبدو على غالياس عدم الفهم) ولكن هى ، لماذا تجيبه
إلى طلبه ؟ أخوفاً ومداراة ؟ أم بساطةً ورضاء ؟ ثم
هذا الإعراض عنى ! آه يا غالياس .. يا غالياس
(يمسك بعنق غالياس) ويلكم منى إن كان ما أفهم
صحيحا ! وويلها وويل نفسى إن كانت خائنة للعهد !.

غالياس : (يجثو) أيها القديس ، إنها حافظة للعهد كجدتها
القديسة سَل العرّاف لو أن العراف على قيد الحياة !
لقد قال إنها تُشْبِهُ جدتها فى كل شىء .

مشلينيا : تشبه جدتها .. جدتها . مَنْ هى ؟

غالياس : پريسكا . القديسة پريسكا . . .

مشلينيا : ماهذا الخَرَفُ أيها الشيخ الهرم ؟

غالياس : إنى أقول الصدق أيها القدّيس . إن العراف يوم
ميلادها قال ذلك .

مشلينيا : أىّ عراف ؟

غالياس : نعم ، العَراف أيها القديس .

مشلينيا : مسكين أنتَ أيها الشيخ ! . اذهبْ إلى فراشك فلا حاجةَ لى بك . . (غالياس يتحرك) بل اسمعْ أيها الرجل . كلمة أخرى ، الأميرة ولا شك ستعودُ إلى مخدِعها بعد أن تفرُغ من مسامرةِ هذا الملِك .

غالياس : نعم أيها القديس .

مشلينيا : وستمر طبعاً بهذا البهو .

غالياس : نعم أيها القدِّيس .

مشلينيا : حسن . اذهبْ أنتَ . . . ليس لى بك حاجة الآن . (غالياس يخرج) فلأنتظِرنَّها طولَ الليل ! (يمشى فى البهو منتظراً ثم يسمع أنينا يدنو) ماهذا الأنين ؟

مرنوش : (يئن فى الخارج) مشلينيا ! . . . مشلينيا . . .

مشلينيا : (فى خوف) من ينادينى ؟ .

مرنوش : (داخلا) مشلي . . . نيا ! .

مشلينيا : مرنوش . . .

(يدخل مرنوش فى ثيابٍ حديثة كثياب مشلينيا وقد حَلقَ مثله)

مرنوش : (وهو يجر جسمه جراً ويئن متوجعا) مشلينيا . .

مشلينيا : (ذاهباً إليه ومُسنداً إياه) ماذا بكَ ؟ .

مرنوش : مشلينيا ! . . .

مشلينيا : ما بك يامرنوش ؟

مرنوش : (يقع رأسه على صدر مشلينيا) ولدى . . .

مشلينيا : ماذا بوَلدِك ؟ .

مرنوش : (فى أنين) ماتَ . . .

مشلينيا : (فى جَزَع) ماذا تقول . . ؟

مرنوش : ما . . ت .

مشلينيا : متى ؟ .

مرنوش : ما . . ت .

مشلينيا : (بعد لحظة) لاتجزعْ هكذا ! عُدْ إلى نفسِك قليلا، وقُصَّ على ما حدث !

مرنوش : مات . . .

مشلينيا : مرنوش ! ألا تسمعُ لى ؟ قلتُ لك انتبهْ إلىّ قليلا وحدِّثنى بما رأيت، علّنى أستطيع بعضَ التخفيف عنك

(مرنوش لايجيب) مرنوش! (يهزّه برفق) أهكذا فقدتَ كل قوة وكلّ أمل، وصرت شيئاً لا يصلح لشيء؟ ثم كيف تركتَ امرأتك وجئتَ في مثل هذه الساعة، ولعلها محتاجة إليك!؟

مرنوش : ماتت...

مشلينيا : مَن؟ هي أيضاً؟ (مرنوش لايجيب) امرأتك كذلك؟..

مرنوش : ماتت..

مشلينيا : متى؟ وكيف؟ حدّثني بالله يامرنوش!..

مرنوش : مشلي...نيا...

مشلينيا : نعم.. تكلم..

مرنوش : مشلينيا.. ماتَ أهلي يامشلينيا

مشلينيا : (يُطرِق)؟.

مرنوش : مات أهلي يامشلينيا...

مشلينيا : لاتجزَعْ. أملِكْ نفسك يامرنوش، أقُتلا في المذبحة؟.

مرنوش : أيّ مذبحة؟

مشلينيا : كيف ماتا إذن ؟ . . .

مرنوش : لستُ أعلم ...

مشلينيا : ألم تسألْ أحدا ؟ .

مرنوش : لا أحد يعلم . . .

مشلينيا : عجبا! ومنزلك ، ألم تجـــد أثراً فى منزلك يدلك على شىء ؟ .

مرنوش : منزلى .. آه .. أين هو منزلى ؟ . .

مشلينيا : ألم تجد منزلك ؟ .

مرنوش : وجدتُ مكانَه سُوقا للرّماح والدّروع .

مشلينيا : عجباً . ومن أخبرك إذن بموتِ أهلك ؟

مرنوش : شحّاذ هَرِم بالسوق ...

مشلينيا : ماذا قال لك هذا الشّحّاذُ الهرِم ؟ .

مرنوش : قال إنه يذكرُ عن آبائه هذا الاسمَ ..

مشلينيا : أىّ اسم ؟ أكنت ذكرتَ له اسمَ أحد ؟ .

مرنوش : اسم ولدى . . .

مشلينيا : فماذا أجاب؟ (مرنوش لا يُحير جواباً) تكلمْ يامرنوش

بالله ماذا أجاب ؟ .

مرنوش : مات . . .

مشلينيا : ولدك ؟ أجاب بأن ولدكَ قد مات ؟ .

مرنوش : وأخذ بيدى إلى المقابر، وأرانى قبراً متهدِّماً . .

مشلينيا : قبرَه ؟ .

مرنوش : وقرأتُ بعينى أسطراً مُتآكلة . . .

مشلينيا : ماذا قرأتَ ؟

مرنوش : اسمَ ولدى . . . ثم . . .

مشلينيا : ثم ماذا ؟ .

مرنوش : ثم عبارة لم أفهمها . . .

مشلينيا : قُلها . . قُلها يامرنوش . . .

مرنوش : « مات شهيداً فى سن الستين ، بعد أن جلب النصر لجيوش الرُّوم » ! .

مشلينيا : أهذا ماقرأتَ على حجرِ القبر ؟ .

مرنوش : نعم . . .

مشلينيا : تريدأن تزْعمَ أنت يامرنوش مازَعمَ يمليخا أمس!

مرنوش : لاشكَّ عندى الآن . .

مشلينيا : أيها المسكين ! لقد جُننتَ مثلَ بمليخا. هذا كل مافى الأمر . . .

مرنوش : أنت لاترى الحقيقة . ابنى مات فى سِنِّ الستّينَ .

مشلينيا : هبْ أن هذا حدَث . . أتبكيه اليومَ يامرنوشُ هب أنه مات فى سِن الستين كما تزعم، شريفاً، بعد أن عاش حياته شريفاً ، وقاتلَ فى صفوفِ الأبطال، وربما بلغ القيادة ومُجدِّدَ اسمه كما ترى . . فماذا تريدُ لابنك أكثر من ذلك ؟ (لنفسه) يالهَ من كلام يتضاءلُ بجانبه هذَيان المغرورين .

مرنوش : ولكنه مات . مات قبل أن يفرحَ بهديتى التى كنتُ أحملُها إليه مع العبدِ .

مشلينيا : أيها المسكين إنَّه لم يمتْ البارحة بل مات شيخاً هَرماً بعد أن مضى حياة طويلة كلُّها سعادة وفخار . . .

مرنوش : ولدى الصغير مات شيخاً هرِماً . أتسخر منى يامشلينيا فى هذه الساعة الأليمة ؟ .

مشلينيا : إنى لأسخر البتة . أنت الذى جئت ترْوى هذا الجنونَ ماذا أصنع لكَ ؟... ومادمت تُصدق الآن يمليخا فلا ريبَ أن ولدك شبَّ وكبر وسار فى حياته العادية آمناً مطمئناً ، ولعله تزوَّج وأتى بذرية صالحة من ذكور وإناث .. كل ذلك ونحن فى الكهف نائمون ...

مرنوش : ذرية صالحة ؟ من هذا ؟ ولدى الصغير الذى كان ينتظر أوبتى بلهفة ليلهو بها ! .

مشلينيا : أيها المسكين أنت لا تستطيع أن تتصور ولدك إلا كما رأيته آخر مرة . ومهما تسمع عن الثلثمائة عام فهى كلمات وأرقام لا تغير شيئاً من صورة ولدك الصغير . تلك الصورة المنطبعة فى مخيلتك ...

مرنوش : (صائحاً) . كفى هُراءً .. كفى هُراءً .. ولدى قد مات ولا شىء يربطنى الآن بهذا العالم . هذا العالم المخيف نعم صدق يمليخا .. هذه الحياة الجديدة لا مكان لنا فيها . وإن هذه المخلوقات لا تفهمنا ولا نفهمها ، هؤلاء

الناسُ غرباءعنا. ولا تستطيع هذه الثياب التى نحاكيهم بها أن تجعلنا منهم . لقد عرفنى الناسُ من وجهى ومن كلامى برغم ثيابى فتبعُونى أنا والعبدَ . وحتى العبدُ الذى نَصَبه الملكُ لخدمتى ما كان يفهم أُغلبَ ما أقول وكان يبتعدُ عنى كأنى أجربُ أو أبرَصُ . ولقد صرنا نتخبَّط طول اليوم فى المدينة نسأل ونبحثْ واليأسُ والرجاءُ يقطّعانِ قلبى ، والناسُ من حولى لا تفهم ما أريد ، ولا أسمع منهم إلا صياحاً يُتبعُونه بأشارةٍ إلى هامسين : هذا أحدُهم. هذا أحدهم . تعالَوا شاهدوا . هذا أحدهم . » . ثم المدينة. أهى طَرَسُوس ؟ مستحيل أن تكون طَرَسُوسُ نعم يامشليناإنا بعيدون عن هذه المدينة وسكانها بمقدار ثلثمائة عام . وإن يمليخا لم يُجنَّ ولم يكذِبْ. إنى الآن فقط أدركُ هذه الحقيقةَ ... ثلثمائةِ عام مضت ، وها هوذا عالم آخر يُحيطُ بنا كأنه بحرٌ زاخر لا نستطيعُ الحياةَ فيه كأننا سمك تغيَّر ماؤه فجأة من حُلو إلى مِلْح .

مشلينيا : لماذا لم تقل هذا الكلامَ أمس؟ ألست أنت الساخر من يمليخا؟

مرنوش : لقد صدق هذا الراعى .

مشلينيا : منذُ متى ؟

مرنوش : مشلينيا ! لقد مات قلبي يامشلينيا ، ولا فائدةَ مِنى بعد اليوم . تعالَ معى إن كنتَ لى صديقاً . . . تعالَ معى يا مشلينيا ! .

مشلينيا : إلى أين ؟

مرنوش : (وهو يجذِبُ يده) إلى عالمنا نحن . . .

مشلينيا : (يسحب يده منه) أمجنون أنت ؟

مرنوش : أتدَعُنى أذهبُ وحدى؟ (مشلينيا لا يجيب) مشلينيا! أتتركنى أذهبْ وحدى ؟

مشلينيا : لا تذهبُ . ابقَ هنا .

مرنوش : لا أستطيعُ . . .

مشلينيا : لماذا ؟ ما يمنعُكَ ؟

مرنوش : لا أستطيعُ .

مشلينيا : بل تستطيعُ . لكنه اليأسُ والحزنُ على ولدٍ مات منذ قرونٍ فى سنّ الستينَ بعد حياةٍ تامة ناضجة أيها الأحمقُ ! تريد أن تلحقَ به وأنت لم تعرف الستين بعدُ ؟ وأنت لم تزلْ فىّ أمامَك النُضْجُ والحياة !

مرنوش : (ضارباً رأسه بيده) أنا فى وابنى شيخ ! تقول هذا الكلامَ فى بساطة كأن ليس لك عقلٌ يعى ويضبطُ ماتقول ، آه إنك ستؤدّى بى حتما إلى الجنون .

مشلينيا : ماذا تريدُ ؟ إما أن كلَّ هذا حقيقةٌ وإما أن كلَّ هذا خلْط ، وأن ليلة الكهف المخيفة قد أثرت فى عقولنا ! أغلبُ ظنى أن هذا ليس حقيقةً . فها هى ذى پريسكا موجودة كافارةٌ لها . ماذا تقول فى پريسكا يا مرنوش وقد رأيتَها مثلى البارحةَ ؟ أعاشت هى كذلك ثلثمائة عام ؟

مرنوش : پريسكا ؟ نعم صدقتَ ، لكن ابنى ، ماذا تقول فى ابنى ؟ كلا إن كل هذا حقيقةٌ لاريبَ فيها . إنك لم تَر المدينة . إنك لم تَر شيئاً ... پريسكا ... ولدى . رحْماكَ اللّهم ، سأفقدُ عقلى ، سأفقد عقلى ..

مشلينيا : (رافعاً رأسَ مرنوش) لا تبكِ يا مرنوش ، ما فائدةَ بكاءِ ولدِك الآنَ ؟

مرنوش : لستُ أبكي ولدي أيها الأحمق !

مشلينيا : إذن ما بكاؤك هذا ؟

مرنوش : عذاب... عذابٌ آخرُ لا تفهمه أنتَ... يا ربي ، لماذا تركتني فريسة للعقل . ثلثمائة عام . ابني في سنِّ الستين وأنا في أمامي النضج والحياة !

مشلينيا : لا تفكر في هذا يا مرنوش ، عُدْ كما كنتَ أمس ، واسخر مما تسمع . هاتِه الأعوام الثلثمائة أو أكثر منها إن هي إلا كلمات ، أعداد ، أرقام هب أنها مجردُ ألفاظ وأرقام لا معنى لها كما كنتَ تفعل أمسِ ، ماذا تستطيع هذه الأرقام أن تغيِّرَ من إحساسِك بالحياة . هبْ كل ذلك صحيحا . إنما أنتَ الآنَ في الواقع أمام حياة ، وأنت لم تزلْ فتى . هبْ أنها حياة جديدة قد مُنحتَها أتأباها ؟ !

مرنوش : حياة جديدة ! ما نفعُها ؟ إن لمجرد الحياةِ لا قيمةَ لها .

إن الحياة المطلقة المجردة عن كل ماض وعن كل صلة وعن كل سبب لهى قلٌ من العدم بل ليس هناك قط عَدَم ، ما العدمُ إلا حياةٌ مطلقة .

مشلينيا : لستُ من رأيك يا مرنوش . إن أيةَ حياةٍ منحة . وأثمن منحةٍ تُعطى مخلوقا هى الحياة . ومع ذلك كان هذا رأيك فى الحياة أمس . فلماذا لا تعود إلى ما كنت عليه أمس !

مرنوش : هيهاتَ ! هيهات !

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : أمسِ كنتُ مثلكَ

مشلينيا : مرنوش !

مرنوش : لأنى كنت أعيش فى حياةٍ لها صلة ولها سبب ، هو القلب ، والقلبُ لا يخضعُ لناموسِ الزمن . فما كانت عندى مئات الأعوام إلا كلمات وأرقاما !

مشلينيا : واليوم إذن ! . .

مرنوش : ماتَ .

مشلينيا : من ؟ ماذا ؟

مرنوش : (مستمراً) ولم يبقَ لى إلا العقل، فهأنذا العقلُ وحده وهاهو ذا يعيدنى إلى عالمه .. عالم الزمان والمكان ...

مشلينيا . لستُ أفهم . .

مرنوش : نعم مَعَ الأسَفِ لست تَفهمُ هذا الآنَ . .

مشلينيا : إنى أفهم أنك رجل متّزن ولا تندفعُ إلى الهلاكِ وراء عاطفتِك .

مرنوش : (فى صوت جافّ وهو يتحرك) الوداعَ ! . .

مشلينيا : مرنوش ! أترانى لم أفهمْ قصدَك ؟ . .

مرنوش : نعم . الوداعَ . .

مشلينيا : امكُثْ معى يامرنوش . إنى فى حاجةٍ إليك . لقد أنسيْتنى ما أنا فيه . إن لدىَّ أشياء كثيرةً أريد أن أفضِىَ بها إليك . أشياء عرفتها اليومَ ، أشياء حدثتْ ، وأريدُ معونتك . امكُثْ يامرنوش . . امكُثْ .

مرنوش : لاأستطيع .

مشلينيا : (متشبثاً) لماذا ؟ لماذا لاتستطيع يامرنوش ؟ لماذا ؟

مرنوش : لقد قلت لك .

مشلينيا : ولدك ؟

مرنوش : (ذاهباً) الوداعَ . . أيها الأحمق .

مشلينيا : (يستوقفه) مرنوش . مرنوش . أريد أن أفهم . إنى خائف . إنى أرى فى وجهك أشياءَ لا أدركها . . .

مرنوش : (يخلّص نفسهَ ليذهب) ولن تدركها اليومَ . . .

مشلينيا : مرنوش . لن تذهبَ قبل أن تقولَ لى . .

مرنوش : لقد قالها مليخا .

مشلينيا : ماذا ؟

مرنوش : إنا أشباح . . إنا الآنَ ملكُ الزمن .

مشلينيا : (فى تفكر وشىء من الارتجاف) مرنوش . .

مرنوش : إنّا ملكُ التاريخ . ولقد هَربنا من التاريخ لننزلَ عائدين إلى الزمن . . فالتاريخ ينتقم . . . الوداعَ يا مشلينيا . . (يخرج مرنوش ويترك مشلينيا ذاهلا)

مشلينيا : رباه . أخشى أن يكونَ حقيقة قد جُنَّ . . .

(يبقى لحظةً متأملا ذاهلاً بلا حراك — ثم تظهر پريسكا

وحدَها وبيدها كتاب)

الأميرة : (تجتاز البهوَ وترى مشلينيا فتُجفلُ) آه .. مَن هنا ؟

مشلينيا : (يستدير سريعاً ويلتفت إليها) ها أنتِ ذِى أخيراً يا بريسكا العزيزة !

الأميرة : (يَعقد الخوفُ لسانها فتقفُ كالتمثال) .

مشلينيا : إنى أترقبُكِ منذُ وقت طويل .. (الأميرة لا تجيب) عجباً . أهذا استقبالك لى ؟ .. (الأميرة لا تتحرّك) ما كنتِ ، ولا ريبَ ، تتوقعين رؤيتى الساعةَ . (لحظة صمت .. الأميرة ذاهلة) بل ربما كنتِ لا تحبينها . بل لعلك ساخطةٌ على المصادفة التى جاءت بك الآن إلى هذا المكان ، إنى أرى ذلك فى وجهك . لا بأس . بالرغم من هذا لا أكتمُكِ أنّ مرآكِ فى هذه اللحظة قد صيَّرنى سعيداً . . سعيداً يا بريسكا إلى أقصى غاية . . (الأميرة فى دهش) لماذا تنظُرين إلىّ هكذا ؟ (بريسكا لا تتحرك وينظر مشلينيا إلى ثيابه) أيدهشُكِ شىء فى هيئتى ؟ ماذا ترين فىّ قد تغير ؟ (بريسكا لا تجيب) عجباً !

ألا تتكلمين؟ ألا تنطقين بحرف؟ أليس لديكِ الآن ما تقولين لى؟ أتريدين أن أظنَّ بكِ ما ظننت الساعة؟ (بريسكا لا تتحرك) (مشلينيا يتقدم خطوة نحوها، ويقول فى شىء من الحدَّة) تكلمى .. انطقى .. إنى لستُ بعدُ قادراً على احتمال ما يحُيط بكِ من صمت وغموض .. تكلمى ... تحدثى بشىء ...

بريسكا : (فى صوت خافت) أيها القديس .

مشلينيا : أيها القديس ! أتتهكمين ؟ (بريسكا لا تجيب) عدت إلى الصمت. أهذا كلُّ ما عندكِ : «أيها القديس»؟! لستُ قديساً أيتها العزيزةُ بريسكا . وأنتِ تعرفين ذلك . ابحثى عن شىء آخر تقولينه .

بريسكا : (فى دهشة) لست قديساً ؟ ؟

مشلينيا : (فى فتور) كلا . .

بريسكا : ألستَ القديسَ ذا المنظر المخيف الذى رأيتُه أمس هنا.

مشلينيا : إن كنتِ ترَيْنى مخيفَ المنظر فأنا هو

بريسكا : كلا . أنت لست مخيفَ المنظر .

مشلينيا : (متصنعاً السذاجة فى غيظ مكتوم) صحيح ؟!

پريسكا : (تتأمل منظره) إنك صرتَ شخصاً آخرَ . مخلوق الأمس كان يبدو شيخاً أو على الأقل ذا شعر أشعث كشعر الشيخ . . . أما أنت . . .

مشلينيا : أما أنا . .

پريسكا : فتبدو فتى . . . إنك فتى . .

مشلينيا : (فى تهكم مر) شىء جميل . ما أبرعكِ !

پريسكا : لماذا ؟

مشلينيا : (فى تهكم وغيظ) لأنك عرفت أنى فتى ، وأنى إنسان مَرْحى . مَرْحى . ما كنتُ أحسبُكِ تعرفين من أمرى كلَّ هذا المقدار .

پريسكا : لستُ أفهم ! . .

مشلينيا : أنا كذلك لستُ أفهم . إنى أعرف پريسكا بسيطة وديعة صافية النفس ، مؤمنة القلب ، طاهرة الضمير ، وما عرفتُها قط قديرةً على التصنع والتخابُثِ والختْل

پريسكا : أأنت تعرفنى إذن ؟

مشلينيا : پريسكا . احترسى . إن لصبرى حداً .

پريسكا : (فى دهشة) من أنت ؟ إنك تخاطبنى كما لو كنت تعرفى من قبل ، أو كما لو أنك لى بعل !

مشلينيا : (فى ألم) شكراً لك .

پريسكا : مابكَ ؟ (مشلينيا لا يجيب) إنى لم أقصدْ إغضابكَ ياهذا . لكن .

مشلينيا : (منفجراً) وأنت تخاطبينى كما لو أنكِ امرأةٌ خائنة مرائية تريد أن تتجاهلَ ماسلف وتنقُض عهودَها المقدسةَ متوسلةَ بأخسِّ الأسباب . ماكان أحراكِ أن تسلكى طريقَ الصراحةِ والصفاء وتواجهينى بالحقيقة بدل أن تنكرينى هذا الإنكارَ . أيتها الأميرة ، إنى أعرفُ كلَّ شىء ولم أتهدمْ بعدُ ولم تَمِدْ بى الأرض بعد ، ولم تنطبق السماوات . وها أنذا واقفٌ أمامكِ قوياً محتملا لا أضعُفُ ، عاقلا لم أجَنّ . كم أنتِ مخطئة أن تَظنّى بى الضعفَ عن احتمال خبرِ خيانتك . إن القلب الذى امتلأ يوماً بكِ ليستطيع أن ينبِضَ بدونك

على الأقل يوماً أو يومين ، إنى ما كنت أحسبنى بهذه القوة! إنى لا أزعم أنى أستطيع أن أخلع من نفسى تلك التى كانت لى عقيدةً أو أكثر من عقيدة، ولا أن أشوّه من ذاكرتى أجلَ إحساس ارتفعتْ به نفس بَشَرٍ ، ولكنى أستطيع أن أزعم أنى أعيشُ بعدَ كل هذا . نعم أعيش . . . ألا ترَيْنَ ؟ انظرى هأنذا أعيش ! هأنذا أعيش ! هأنذا أعيش !

پريسكا : (مأخوذةً فى غير استنكار بل فى سرور خفىّ لا تدركه) أأنتَ تخاطبنى أنا بكل هذا ؟؟؟ (مشلينيا لا يجيب — پريسكا كأنما تخاطب نفسها) هذا كلام لم يقله لى أحدٌ من قبل . إلا أنتَ اليوم ! ما أجملك بطلاً من أبطال المآسى الإغريقية التى كنتُ أطالعها فى خفية عن غالياس ، وأنا صغيرة .

مشلينيا : (يتظاهر بالهدوء والفتور) معذرةً أيتها الأميرة، إنى ما قصدتُ بكلامى شيئاً سِوَى إبراء ذِمتكِ . .

پريسكا : إبراء ذمتى ! . مم . . ؟

مشلينيا : مما ارتبطتِ به من عهد .

پريسكا : أىّ عهد ؟

مشلينيا : (فى هدوء) أو لا تعرفين هذا أيضاً؟ عهد الخطبة بيننا .

پريسكا : (وهى تنظر إليه فى حسرة) وا أسَفاه ! الآن لا شك عندى . . .

مشلينيا : (فى مرارة) أخيراً . .

پريسكا : (متممة عبارتها السابقة) فى أنك مجنون .

مشلينيا : أشكرك أيتها الأميرة ، لأنْ أكونَ مجنوناً خير من أكونَ خائنا !

پريسكا : (هادئة) أأنا خائنة ؟ ماهى تلك الخيانة المزعومة التى ترمينى بها منذ لحظة؟ (مشلينيا ينظر إليها ولا يجيب) تكلم . أرِنى إلى أىّ حد يصل الجنون . . . الأمر العجيب أنك لم تَعدْ تخيفنى . نعم ، لستُ أخاف جنونَك للذيذ هذا . . بل إنى لأحبّ أن أستمع إلى قصصك . تكلم . ماهو نوع خيانتى ؟ ولمن ؟ لك أنتَ ؟

مشلينيا : (هادئاً ، فى أسف ، وكأنما يقول لنفسه) پريسكا !

نك لستِ پريسكا ! .

پريسكا : دَعْنا من هذا . هذا جنون سهل مبتذَل . حدثنى عن الخيانة . . !

مشلينيا . پريسكا . إنكِ ما كنت على هذا الذكاء . . . !

پريسكا : (باسمة) متى ؟ .

مشلينيا : (فى مرارة) أهكذا انتهى كل شىء . . . ؟

پريسكا : أىّ شىء ؟ .

مشلينيا : بهذه الوسيلة الهيِّنة ! أىّ شيطان يجرُؤ على هذا وأى ضمير ؟ . (لحظة) لكن . . لا . . ينبغى أن أتريَّث قبل أن أتهمَكِ هذا الاتهامَ الشنيعَ . پريسكا الملك الطاهر ! أترانى أسرِف وأبالغ ؟ لعلى مجنون كما تقولين إذ أسمح لنفسى بالارتيابِ فيكِ . پريسكا . . . لعل هذا ما تقصدين ! وافرَحتاه لو أن هذا صحيح ! هذا الخاطر قد يردُّ إلىّ الحياة ! پريسكا . تكلمى ! أأنا مجنون لأنى أرتاب فيك ؟

پريسكا : قد يكون هذا ولكن ما يحملك على الارتياب فى

وماهو نوع ارتيابك ؟

مشلينيا : (يتقدم نحوها مادًّا يديه فى فرح) أسألكِ الصفحَ !.

پريسكا : (تتقهقر) لا تلمسْنى ... لا تلمسْنى ...

مشلينيا : (يقف فى مكانه طائعاً) نعم إنى أثِمتُ ياپريسكا ! إنها رُعونَتى لم تتغيرْ ، وكذلك ...

پريسكا : ماذا ؟ تكلم ..

مشلينيا : الغيرْة .

پريسكا : (فى دهشة وعجب) الغيرْة !

مشلينيا : (خافت الصوت مطرِقاً) نعم .

پريسكا : (باسمة فى غير استنكار) هذا جميل !

مشلينيا : (فى عَتب) لأنك أهملتنى وأغفلتِ شأنى ياپريسكا . لستُ أدرى لماذا ومنذ البارحة وأنا أتقطع لرؤيتك وأطلبك وأرسل إليك وأنتظرُ الليلَ ، فيقال لى اليوم إنكِ عندَ هذا الرجل فى مخدعه تسامرِينه وتُلهينه فى ساعة كهذه مُريبة ! ..

پريسكا : إنك فاتنٌ حقاً أيها القديس ..

مشلينيا : عُدْتِ إلى التهكم !

پريسكا : كم يكون كلامكَ هذا أشدَّ عجباً وغرابة لو أنك بقيت على منظرِ أمسٍ ، بلحيتك وشعرك وثيابك الغريبة (مشلينيا لا يجيب) ولكني لستُ أكتمكَ أني ما كنتُ أستطيعُ الاقترابَ منك، والإصغاء إليك كما أفعل الآنَ . . . (مشلينيا يكظِمُ ولا يجيب) أأغضبتك ؟

مشلينيا : مَن علَّمكِ هذه اللهجة ؟ وكيف انقلبتِ امرأةً أخرى في هذا الزمن القليل ؟ أين الوَداعةُ والخَفرُ والحياءُ العميقُ وصوتُ الملائكة الذي لا يكادُ يُسمَعُ ؟

پريسكا : كل شيء إلا الحياء العميق وصوت الملائكة أيها القديس . من أينَ جاءك أني كنتُ كذلك ؟

مشلينيا : كنتِ كذلكِ يومَ كان الحبُّ يرفعُكِ عن هذه الأرض

پريسكا : الحبّ !

مشلينيا : الذي كان عندك أقوى من العقيدة ، أقوى من الدين ، لأن عقيدةَ الملائكة حبّ .

پريسكا : عقيدةُ الملائكة حبّ ؟

مشلينيا : أتجهلينَ ذلكِ الآنَ ؟

پريسكا : هذا أحسنُ ما سمعتُ منكَ أيها القديس . . وأعقل ما قلتَ اليومَ .

مشلينيا : (فى أسف) ومع ذلك فلستُ أنا قائلهَ .

پريسكا : مَنْ إذن

مشلينيا : أنتِ .

پريسكا : (فى دهشة أنا) أنا ؟

مشلينيا : نعم أنت التى أرْيتنى هذا وأفهمتنيه .

پريسكا : متى ؟ متى كان ذلك ! ؟

مشلينيا : يومَ كنت أقل ذكاء وأعمق قلباً .

پريسكا : ومَن قال لك إن قلبى ليس عميقاً ؟ .

مشلينيا : عيناكِ كنتُ أرى فيهما ما لا أرى الآن . . وكانتا وحدهما اللتين تتكلمان ، على حين كان لسانك الساذجُ قاصراً لا يستطيعُ أن يقول كلّ ماقلتِ الآنَ .

پريسكا : (بعد لحظة تأملٍ) جميل هذا الدرسُ الذى تلقيهِ على

أيها القِدّيس ! ليتك غالياس ، هذا المؤدّب الذى طالما أثقل علىّ بأكاذيبه وحماقاته !

مشلينيا : (فى برود) إنى ماجئت لألقىَ دروساً .

بريسكا : إذن لعلها رسالتُك إلى هذا العالمَ أيها القديس ! . ثقْ بقولى . . . ما أجملَها رسالةً إلينا .

مشلينيا : (منفجراً فى غيظ) إلى عالم موبوء كلّه خَتْل وخيانة . نعم وا أسفاه ! لو أن رسالاتِ السماوات كلّها تنفع فى إعادة الطُهر إلى قلب امرأة خائنة !

بريسكا : عُدتَ إلى ذكر الخيانة ؟ (مشلينيا ينظر إليها ولا يجيب) لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟ تكلم . . . إنى أصغى إليك على كل حال . . . تحدث . . .

مشلينيا : (يحشو) بريسكا . إنى أتعذّب . لماذا تعذبينى ؟ . . لماذا لاتخبرينى بالصدق بدلَ التهكم والمداورة ؟ قولى كلمة واحدة بصوتك العميق الصادق ، وأنا أقتنع وأستريحُ ، بل أقسمى . . أقسمى لى . .

بريسكا : أقسم لك ؟

مشلينيا : (يرى الصليبَ فى جِيدها) نعم أقسمى على هذا الصليبِ . وافرحتاه . هذا صليبي مازلت تحملينه . شكراً لك يا بريسكا . .

بريسكا : (فى دهشة) صليبُك !

مشلينيا : أليس فى هذا دليلٌ على حفظكِ لعهدى . نعم . . قلبى يحدثنى دائماً أنكِ بريئة . بل إنى لواثق . لكنى أطلب التأكيدَ . . التأكيد . . . حتى لا أسمح لنفسى بعدُ بالشكّ . ؟

بريسكا : (تقلّب الصليبَ فى يدها وكأنها تقولُ لنفسها) أتراك عدتَ إلى الخلطِ والجنون ؟ وأنا التى كادت تُعْنىَ بما تقول . . .

مشلينيا : نعم إنه جنونٌ أن أشكَّ فى بريسكا إنى أفقِدُ وعيى كلما خطر لى . . . إذن فلأطردْ من رأسى كلَّ فكرة مِن شأنها أن . . نعم فلنترك هذا الموضوع إلى الأبد . . ولتتكلمْ فى شىء آخرَ . أعِدُكِ يا بريسكا وعداً صادقا أنى لن أجنَّ بعد الآن . فهل تصفحينَ عنى

(بريسكا تنظرُ إليه صامتة) لماذا تنظرُ ينَ إلىّ هكذا؟
بريسكا ! هل تمنحيننى عفوكِ ؟ أجيبى !

بريسكا : (بغير انتباه) نعم . .

مشلينيا : (يريد أن يلثِمَ يدها) ما أسعدَنى ! إنى الآنَ سعيدٌ أيتها العزيزة ! يا خطيبَتِى المعبودة ! . (بريسكا شاردة تحس شفة مشلينيا على يدها فتنتزعُها من يده فى الحال) لماذا لا تريدين أن ألثِم يدَكِ ؟

بريسكا : انهضْ أيها المجنون ! . . أصغيتُ إليكَ أكثرَ مما يجب . . (تتحرك ذاهبةً) .

مشلينيا : (صائحاً فى يأس) بريسكا إلى أين ؟ أتذهبين بهذه السرعةِ وعلى هذا النحو ؟ وقبلَ أن تقولى لى . .

بريسكا : (تستدير) أقول لكَ ماذا ؟

مشلينيا : إنى لن أستطيعَ النومَ الليلةَ ! إن لم تُزيلى كلَّ ما بنفسى مِن . مهما تبلغْ ثقتى بكِ فانى محتاج أن توضحى لى هذا الغموضَ . . . أريد أن أعرف . . لا تعذبينى . . ! لا تقتلينى ! . . . أريد أن أعرِفَ يا بريسكا .

پريسكا : تعرف ماذا ؟

مشلينيا : مَنْ هذا الرجل ؟

پريسكا : (فى دهشة) أىُّ رجل ؟

مشلينيا : الذى كنتِ عندَه الساعةَ !

پريسكا : لم أكن عند رجلٍ الساعة ، ولئن جاز لك أن تخلطِ وتهذى .. فليس لك أن تُهينى !

مشلينيا : صَفحاً ياپريسكا . إنى وحشىُّ التعبير ، وماقصدت إهانةً .. لكنه القلق وحبُّ المعرفة ، إنى أردتُ أن أسألكِ أين كنتِ الساعةَ قبل أن تمرّى بهذا البهو ؟

پريسكا : كنتُ عند أبى

مشلينيا : (دهشاً) أبوكِ ؟ . أريد مَنْ .. كنتِ تقرئين له الآن وتسامرينه ...

پريسكا : نعم هو أبى . إذا أرِق دعانى لأطالعَ له حتى ينامَ .

مشلينيا : (فى حدة) پريسكا .

پريسكا : ماذا دهاكَ ؟ . ولم تحملق فى بعينك ..

مشلينيا : پريسكا . أمزحين وتتخابثين أم . أم ترين

خِداعى . . أم أنا فى . .

بريسكا : (فى دهشة) ماذا تقول ! ؟

مشلينيا : أأنا عميتُ ؟ إنَّ هذا ليس بدقيانوس . . . إن هذا الملكَ ليس دقيانوسَ .

بريسكا : دقيانوس ؟ ! طبعاً لا . إنَّ أبى ليس بدقيانوس ؟ . .

مشلينيا : بريسكا ! ألستِ ابنةَ دقيانوسَ .

بريسكا : أأنتَ مجنونٌ ! . أأكون ابنة ملكٍ مات منذُ ثلثمائة عام ؟ .

مشلينيا : (رأسه بين يديه كأنما ينتظر طامَّةً) مَن أنت إذن ؟ إلهى ! أكاد أجنَّ . سأجنَّ . .

بريسكا : (تمدّ يديها إليه فى قلق) ماذا بكَ . . .

مشلينيا : ابنةُ هذا الرجلِ . . هذا الملكِ . . ربّاه ، كيف يمكنُ هذا ؟

بريسكا : مَن كنتَ تحسبُنى إذن . . آه . . (تصبح فجأة إذ تبرُق فى رأسها فكرة) آه . . نعم . نعم . . يا إلهى ، فهمتُ . . فهمتُ . .

مشلينيا : (رافعاً رأسه) ماذا ؟ ماذا ؟ . .

پريسكا : فهمتُ . إنى لستُ پريسكا التى تقصِ ها . يا إلهى . كلّ هذا الذى قلت لم يكُن لى إذن . . بل للأخرى . .

مشلينيا : لستُ أفهم . .

پريسكا : أنسيت أن عمرَك ثلثمائةِ عام ؟ . أنسيتَ أنك لبثتَ فى الكهف ثلثمائة عام ؟ .

مشلينيا : وماذا يُهمّ . . !

پريسكا : (فى كآبةٍ ومرارة ، وكأنما تقول لنفسها) صدقتَ . . أنا أيضاً نسيتُ ذلك الساعة ؟ .

مشلينيا . پريسكا . . . ماذا تقولين ؟

پريسكا : لا . . . لا شىء !

مشلينيا : تكلمى بالله . .

پريسكا : (لمشلينيا) إنها كانت ابنة دقيانوسَ ، دقيانوس الوثنى ولكنها اعتنقَت دينَ المسيحِ .

مشلينيا : نعم . من أجلى يا پريسكا . أليس كذلكِ ؟

پريسكا : أو كان ذلك من أجلكَ ؟ آه . . إذن كان ذلكَ منْ

أجلك ! نعم . نعم . وغالياس يقول إنها قديسة ، وإن المسيح جاءها في المنام ، وقلدها هذا الصليب الذهبي .

مشلينيا : بل هو صليبي الذي أهديتك إياه يا پريسكا عقب ذهابنا إلى الراهب ... ألا تذكرين ! ؟

پريسكا : (متفكرة وكمن تخاطب نفسها) نعم . نعم . أدركت كل شيء الآن ..

مشلينيا : (في رجاء) أدركتِ الآن يا پريسكا ! تذكرتِ ؟ .

پريسكا : (تلتفتُ إليه في قوة ، وتقول في لهجة قاطعة) اسمعْ ! أتريدُ أن تصغيَ إلى مليًّا ، وتعيَ ما أقول ؟ .

مشلينيا : (يلتفت إليها بكل جوارحه) نعم .

پريسكا : إن پريسكا ابنة دقيانوسَ ، خطيبتَكَ التي هواها ، ماتتْ منذُ ثلثمائة عام .

مشلينيا : (بغير فهم) ماتتْ ؟ .

پريسكا : نعم .. عذراء طاهرة كما تركتها ، وقد حافظتْ على عهدكَ المقدَّسِ .. وظلت طول حياتها تقول : إنها تنتظر . تنتظر ! تنتظركَ أنتَ بالطبع حتى تعودَ .

مشلينيا : (كالمخبول) ماذا أسمعُ ؟.

پريسكا : ولقد وَفتْ بوعدها وانتظرتكَ حتى أدركها الموت في الخمسين من عمرها، وقد طلبت في النَّفَس الأخير أن تُحمل لتموتَ في البهو. لماذا ؟ أكنتما تتلاقيان هنا ! تكلمْ يا هذا.

مشلينيا : (في غير وعي) نعم. نعم :

پريسكا : الآن وقد عرفتَ، اذهبْ وابكها. إنها ولا ريب تنتظر دُموعَك الوداعَ.

مشلينيا : (يتمسك بأذيالها وهي تهمُّ بالانصراف) پريسكا ... لا تذهبي

پريسكا : (في حدة غريبة) قلت لكَ إني لستُ پريسكا.

مشلينيا : (في توسّل) لستِ أنتِ .!؟لم هذا يا پريسكا؟ رحماكِ. أتريدين أن أفقدَ عقلي ؟.

پريسكا : (في حدّة) ألم تسمع ما قلتُ . . استُ پريسكا التي تحبُّها. ماذا تريد مني ؟

مشلينيا : (يحملق كالمجنون) رحمَك ياربي ، مَن أنت

إذن ؟ إنى لست أدرى بعدُ هل لى رأسٌ فوق كتفىّ ؟!..

پريسكا : (فى تجهم) إنى أشبهها . ولست إياها . انظر جيّداً . وليَعُدْ إليك عَقلكَ .

مشلينيا : (بحملق كمن لا يصدّق) تُشبهينها ؟ تشبهين مَن يا پريسكا ؟ .

پريسكا : ولقد أسمَوْنى باسمها . . .

مشلينيا : (كمن كاد يفهم) ربّاه

پريسكا . ألم يخبرْك أحدٌ بقصّة العرّافِ الذى جاءوا به ساعة ميلادى لينظرَ طالعى . .

مشلينيا : (كمن يتذكر) العرّاف ! !

پريسكا : لقد تنبّأ بأنى حينما أكبرُ سأشبه القدّيسة پريسكا ابنة دقيانوس . ولهذا دَعوْنى باسم پريسكا .

مشلينيا : العراف ! نعم يخيَّل إلىّ أنى سمعتُ شيئاً كهذا . . أين ؟ . ومتى ؟ . .

پريسكا : أوَضحتْ لعينيك الحقيقة الآن . ؟!

مشلينيا : (ينظر اليها طويلا) لستِ إياها . . !

پريسكا : كلا لستُ إياها . اذهب ! ماذا تنتظرُ بعدُ فى هـذا المكانِ ، قلبُك لم يعدْ هنا . .

مسلينيا : (وهو لم يزل ينظر إليها) قلبى لم يعد هنا ؟

پريسكا : (تنظر إليه طويلا ثم تقول بصوتٍ خافت) الوداع . (تنصرف) .

مشلينيا : (كمن أصابه خبَل يمد يديه نحوها) پريسكا عزيزتى تعالَى . . أنت هى .. ربَّاه ... أنت لستِ إياها . . . لست إياها ... ومن تكونين إذن ؟ أنت ؟ أنائم أنا ؟ أحى أنا ؟ أأكونُ فى حُلمْ مضطربٍ مختلط . إلهى ! إلهى . أيها المسيحُ .. أيها الآلهه أعطنى عقلى أرى به . أعطنى النورَ ، أو أعطنى الموتَ ، اليقظةَ . النومَ . العقلَ العقل . . مرنوش . أين أنت يامرنوشُ ؟ . أين نحن ؟ . أين نحن الآن ؟ . أحلام الكهف ؟ أهى أحلام الكهف ؟ أأنا فى حقيقة ؟ أأنا فى الكهف ؟ ماهذه الأعمدة ؟ . يتخبط بين العُمدِ فى البهـــورِ) إلى يامرنوش .

يا مليخا . . . إنّا لا نصلُح للحياة . . . إنا لا نصلح
للزمن . . . ليست لنا عقول . . . لا نصلح للحياة !
(يخرج فيصطدم بغالياس الداخل) .

غالياس : (يفرك عينيه وينظر فى أثر مشلينيا الذى خرج)
ماذا بالقدّيس . ؟ ما بالُ القديس هائجاً . . . ! ؟

پريسكا : (تعود على مَهل وتبحث بعينيها وتقول بصوت خافت
كأنما هو لنفسها) ذهب ؟ ! .

غالياس : مولاتى ! ألم تَأوى بعدُ إلى مخدعِكِ ؟ .

پريسكا : لستُ أريد النومَ .
كنتُ أنتظركِ على مقعدٍ قربَ باب الملك ، ولكن
غلبنى النعاس ، فلم أرَكِ تخرجين .

پريسكا : (غير ملتفتة إلى كلامه) غالياس .

غالياس : مولاتى .

پريسكا : (بعد لحظة . . فى تردد) غالياس .

غالياس : (يدنو منها) مولاتى . لبيكِ يامولاتى . . ماذا بك

پريسكا : لا . . لا شىء ، اذهب إلى فراشكَ إذا شئتَ !

غالياس : أو تَبْقَيْنَ وحدكِ هنا ونحن فى ساعة متأخرة من الليل؟

پريسكا : نعم .

غالياس : (ينظر إليها) ماذا بك يا مولاتى ؟ إنى لم أرَكِ قطُّ على هذه الحال . .

پريسكا : ماذا ترى بى ؟

غالياس : لستُ أدرى على التحقيق . . ولكن . .

پريسكا : غالياس ! . . أريد أن أقول لك . . أريد أن أقول لك شيئاً . . مروّعاً .

غالياس : يالله ! تكلمى يا مولاتى !

پريسكا : لقد وجدتُ . . وفقدتُ . . فى طَرْفة عين . .

غالياس : ماذا وجدتِ يا مولاتى ؟ !

پريسكا : وفقدتُ . . وينبغى لى أن أفقِد . . إلى الأبد ! . . . لأن هذا جنون . هذا مرُوِّع !

غالياس : وجدتِ ماذا ؟

پريكسا : حُلْمى .

غالياس : حُلمكِ ؟ أىّ حُلم يا مولاتى ؟ (لحظة) نعم أذكر أنكِ قلت

لى أمسِ عن حُلم رأيته . . . حلم مفزع مخيف .

پريسكا : هو ذاك أيها الأحمقُ ! اذهبْ عنى لا فائدةَ لى منك .

غالياس : مولاتى ! لا تُراعي ، ولا تعتقدى كثيراً فى الأحلام ! لا سيَّما أحلامُ من فى سنِّك . إن أحلامَ الشباب غالباً أضغَاث .

پريسكا . (فى حسرة) أحلامُ الشباب غالباً أضغاثٌ ! (فى تأمل ، وكمن تخاطب نفسها) نعم . . صدقت فى هذا

غالياس : ألم تحلُمى أنك دُفنتِ حية ؟ ! أو تصدّقين حُلماً كهذا .

پريسكا : (تتنبه لعبارته) ماذا ؟ نعم ، يا لَلمصادفة العجيبة ! . . . لقد رأيتُ ذلك حقًّا البارحةَ ؟ أجل يا غلياسُ . . ولِمَ لا ؟ لقد بَدَأتْ تَصْدَقُ الرؤيا .

غالياس : (فى قلق) ماذا تَعنين يا مولاتى ؟

پريسكا : لا شىءَ . . اذهب . .

غالياس : لستُ أفهم . . هذه أول مرةٍ لا أفهمَ فيها كلامَك يا مولاتى . . إنكِ اليومَ تتكلمين كما يتكلمُ هؤلاء القديسون !

پريسكا : لا تُهن القديسين ياغالياس .

غالياس : حاشا لله ياموﻻتى ! حاشا لله ! إن الله ليَشهَدُ بما فى صدرى من خشوعٍ وخضوع . غير أنى أردتُ أن أقول إن خيراً للقِّيسين أن يظلوا فى السماء من أن ينزِلوا بيننا على الأرض . .

پريسكا : إنهم ما نزلوا ياغالياسُ إلا ليرفعونا معهم إلى السماء .

غالياس : هذا شَرف عظيم ياموﻻتى . . ولكن لا يناله إلّا الأخِصّاء . .

پريسكا : (فى حزن وكأنما تخاطب نفسها) صدقتَ . . (لحظة) إذن لا ينبغى أن نطمَع حتى فى هذا ؟

غالياس : ومع ذلك ، مَنْ يدرى ؟ ألم يَقل العرافُ إنك ستُشبهين القديسة ؟ إن الله لم يخلق هذا الشَّبَه عبثاً .

پريسكا : (مضطربة) ويلك ! ماذا تَعْنى ؟

غالياس : أعنى يا موﻻتى أنك قد تصيرين خليفَتَها .

پريسكا : خليفتها ؟ خليفتها فى ماذا ؟ يا للفظاعة ؟ أُجننتَ ياغالياس إنى أفضل العذابَ والموتَ على شئ فظيع كهذا

غالياس : شيء فظيع ؟ أستغفر الله !

پريسكا : ألا تتصور فظاعته ! آه . ولكنك لا تفهم شيئاً أيها الرجلُ . اذهب .

غالياس : أستغفر لك الله ! وأنا الذى رجا لك يا مولاتى رضاء الله وولايته ، وتفاءل منذ قليل إذ ألح القديس مشلينيا فى طلبكِ مرةً أخرى الساعةَ . . وكان مهتما غاية الاهتمام .

پريسكا : (مطرقة) نعم . أعرف لمن كان هذا الاهتمام !

غالياس : أقابلتهِ يا مولاتى ؟ إنى انتظرتُك بباب الملك لهذا ، ولِأرجوَ منك ألّا تفزعى منه . .

پريسكا : قابلتهُ . . ولم أفزعْ منه ، مع الأسف . .

غالياس : وماذا قال لكِ ؟

پريسكا : (تُغالبُ تأثّرها) قال لى أشياء ! أشياء ! وفى وجهى !

غالياس : (ينظر إليها) أتبكينَ يا مولاتى ؟

پريسكا : قال إن القديسة پريسكا كانت عميقةَ القلب ! أما أنا فلا ، وإنها كانت ذاتَ صوتٍ ملائكى لا يكادُ يسمع

أما أنا فلا . وإنها كانت ذاتَ وداعةَ وصفاء وحياء جميل ، أما أنا فلا . .

غالياس : كيف ذلك يامولاتى ؟ أهو يعرفها ؟ !

پريسكا : (فى غيظ) اسكتْ أو اذهب أيها الغبىّ الجاهل الأحمق ! إنه يحبّها وتحبه ، وخطيبتها وخطيبته ، وبينهما عهد مقدس لا بينها وبين الله أيها المؤدب الأبله . وكانت تنتظرُه حتى الموت . . تنتظرُه هو لا المسيحَ وهو الذى أعطاها هذا الصليب الذهبىّ !

غالياس : عجباً ! القديس مشلينيا هذا ؟

پريسكا : نعم هذا الفتىّ الجميل . . خِطيب جَدتى العابرة . ولا يحبّ سواها فى الوجود . . فى أىّ وجود ؟ اذهب الآن أيها المؤدب وارقد . إنى فى حاجة إلى السكون والوحدة . .

غالياس : (مستذكراً) نعم . إنهما وُجدا وعاشا فى عصر واحد تحت حكم دِقيانوسَ كما ورد فى كتاب الراهبين . .

پريسكا : قلتُ لك : اذهبْ ! .

غالياس : (وهو منصرف) ذهبتُ . . . أيتها الأميرة !
(يخرج وتبقى بريسكا ورأسها إلى عمود) .

مشلينيا : (يعود) . . . ؟

بريسكا : (تحس به فتستديرُ ملتفتة إليه) لِمَ عدتَ ؟ (مشلينيا يطرق ولا يجيب) ألم تفهم إذن ماقلتُ لك الليلةَ ؟ إنى لست إياها . .

مشلينيا : (فى صوت خافت) فهمتُ . . .

بريسكا : إذن لماذا رجعتَ ؟ (مشلينيا يطرق ولا يُحِير جوابا) تكلم ياهذا . . .

مشلينيا : لم أستطع البعدَ عن هذا المكان . . .

بريسكا : نعم . . هذا المكان حيث كنتما تتلاقيان . وما أشقّه عذاباً على نفسك أن تفارقَ موضعَ الذكرى ! . أليس هذا . . ؟

مشلينيا : (فى حزن) ليتَه هذا !

بريسكا : إذن فأنتَ جئتَ تبحثُ عن أثر من آثارها تتعزى به

مشلينيا : آثار مَن ؟

بريسكا : آثارِ مَن تحب !

مشلينيا : إنها لم تمتْ

بريسكا : ماذا تعنى ؟

مشلينيا : بل أنا الذى متُّ . . عندها . .

بريسكا : لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟ . . احذر ياهذا ! إن كنتَ تريد أن تتذكرها فى صورتى، و تتأمّلى كطيفها و تجعلنى تمثالاً يشبهها . فانى لا آذَنُ لكَ بذلكَ .

مشلينيا : ليتكِ كنت تمثالا ، ولكنك كائنٌ حى .

بريسكا : ياله من أمر مروّع ! . . . ابتعد عنى . . .

مشلينيا : لا تخافى ! . . إنى لم أنس أنَّ بيننا ثلثمائةِ عام . .

بريسكا : بل أفظعُ من هذا أنكَ تمزج شخصيتى بشخصيتها . إنك لا ترانى أنا . . بل تراها هى فىّ . . إنما لم تمت عندكَ بل أنا التى ماتت . اذهب عنّى . . اذهب من هنا على الفورِ أيها الرجلُ .

مشلينيا : (فى يأس) بريسكا . . . بريسكا . .

بريسكا : صهٍ لا تنادِنى كما كنتَ تناديها . ليس بينى و بينك

صلةٌ ما أيها الرجلُ ! فلتحفظْ الاحترامَ الواجب لى ، أو فاخرج ! . . .

مشلينيا : صفحاً . . إنه . اليأسُ . .

پريسكا : وبعدُ ... فماذا تريدُ من بقائكَ هنا ؟

مشلينيا : صدقتِ :.. هذا مستحيل . بقائى هنا مستحيل .

پريسكا : نعم . وإن كنتَ تأمل فى النظر إلى وجهى فثق أنى سوف أمنع عنك هذه الصورة وأحطّم هذا التمثال.

مشلينيا : وأىّ نَفْع ؟ لقد قلتِ الآن: ليس بينى وبينك صلة ما.

پريسكا : وهيهات لروح أحدنا أن يتصل بروح الآخر .

مشلينيا : نعم...نعم ... بيننا الهُوَّةُ السحيقة ...هوةُ ثلثمائة عام

پريسكا : بل شىء آخرُ . .قلتَه أنت الساعةَ ولن أنساه : إن الأخرى ذاتَ الصوتِ الملائكى ، أعمقُ قلباً وأجمل وداعةً وأصفى نفساً ! إذن اذهبْ إليها ياهذا ! فان هذا الزمانَ كما قلت أنت لم يعد فيه صفاءٌ فى النفوس ولا عمق فى القلوب ، ولا وداعة سماويّة. ولا شىءٌ واحد من تلك الأشياء التى تحبُّها .

مشلينيا : (فى ذهول) پريسكا !

پريسكا : قلتُ لكَ إنى أكره سماعَ هذا الاسم .

مشلينيا : ولكنه اسمُكِ !

پريسكا : من سوء الحظ ! ليت لى اسماً آخرَ وصورةً أخرى

مشلينيا : لو كان ذلكِ لما كنتُ وجدتكِ . ولكان مصيرى كمصير يمليخا ومرنوشَ !

پريسكا : قلت لكَ إنك لم تجدنى ، بل وجدتها هى . .

مشلينيا : (فى شبه فرح) نعم وجدتُها .

پريسكا : (تكتم تأثرها) نعم. وجدت ورأيت ، وأحببتَ كل ماهو لها. الاسمَ والصورةَ. أما كلُّ ماهو لى... ومع ذلك فماذا يهمُّك؟ إنك فرحٌ . إنك وجدتها ...

مشلينيا : نعم . وجدتُها .

پريسكا : نعم..(تجفف دمعةً سقطت من عينها برغمها)

مشلينيا : أتبكين ؟ .

پريسكا : اخرج من هنا . إنى لأرجو منك .

مشلينيا : (فى فرح وذهول) يالَلعجب! إنى لم أرك قطُّ تبكين .

بريسكا : لم ترها قط تبكى ! نعم . لأنَّ الملائكةَ لا تبكى . إنها رقيقة دقيقة لا تتحمل البكاء . وقطرةُ دمعٍ واحدة قد تدمّر تركيبها اللطيف !

مشلينيا : إذن لماذا بكيتِ ؟

بريسكا : لم أبكِ . . .

مشلينيا : هذه الدمعة التى رأيتها الآن . . .

بريسكا : أنت أعمى ، لا ترى . . .

مشلينيا : (فى سذاجة وذهول) ربما . بل إنى لأعترفُ بأنى لا أرى شيئاً الآن . . . ولا أعى أية حقيقة . إنى كأنسان يُعميه نور . . نورٌ كثير وسط عالم الأحلام . . . فهما أر وأسمعْ من حقائقَ هائلة . فهى عندى بسماتٌ أو نسمات تمردونَ أن تترك أثراً فيما أنا فيه . . ماهى الثلثمائة عام ؟ ! وماهى تلك البراهين التى تستطيع أن تثبتَ لى أنك لست إياها ؟ ! وماهو ذلك الويل المروِّع الذى يتربص بى إذ ينكشف لى أنكِ امرأة أخرى . وأن بيننا هُوَّةً ؟ ! كل هذا لا يهمنى الآن . لأنى

عائش الآن فى حقيقةٍ واحدة: أنى سعيد هنا... وأن قلبى هنا !

پريسكا : (تتحرك ذاهبةً) إذن ابقَ هنا .

مشليليا : (فى خوف) وأنت ؟؟

پريسكا : وما شأنى بك ؟ .

مشلينيا : (فى قنوط) لاتذهبى . لاتذهبى سريعـــا . . . لاتذهبى . .

پريسكا : ماذا تريدُ منى ؟ ينبغى لكَ أن تصحوَ . . آن الوقت لأن تبصر . .

مشلينيا : لاأريد . لستُ أريد أن أبصرَ الآن . الإبصارُ لى موت . أتريدين أن أموتَ ؟ .

پريسكا : لو أنى فى مكانكَ لآثرتُ اللحاقَ بها فى السماء

مشلينيا : إنى الآن فى السماء . . . معكِ فى السماء . . .

پريسكا : (فى مرارة) فى سماء خيالك أيها المجنون !

مشلينيا : (ضارعاً) پريسكا ! لاتتركينى . . لاتتركينى وإلا سقطتُ فى الجحيم !

بريسكا : (تخلع الصليبَ الذهبىّ من جيدها) أعطيك شيئاً يمنعكَ من السقوط . . . هذا الصليبَ الذهبى . . . !

مشلينيا : هذا الصليبُ الذى أهدْيتهُ إليك ؟ ؟

بريسكا : (تمدّه إليه) بل الذى أهديته إليها هى . إنى أرده . . فهو ليس لى . .

مشلينيا : بل هو لك . .

بريسكا : لن يستطيعَ صدرى حَمْله بعد اليوم . إنّ جسدى ليرتجفُ من لمسه الآن ، كما لو أنه أفعى لادغة . .

مشلينيا : إنك تُخيفينى . .

بريسكا : (تشير إلى يده) أليستْ هذه اليدُ هى التى وضعت هذا الصليبَ على صدرِها هى منذ ثلثمائة عام ؟ .

مشلينيا : ثلثمائة عام ! .

بريسكا . وهاتان الذراعان الفتيّتان أما التفتا حول خَصْرها المرهَف الدقيق ؟ ! .

مشلينيا : ماذا تقولين ؟

بريسكا : وهاتان الشفتان ، ماز التامع الأسف . جميلتين . . مَن

يدرى . . لعلّهما أيضاً . .

مشلينيا : اسكتى . .

بريسكا : مِمِّ خفتَ يا خطّيب جدّتى ! !

مشلينيا : هذا . . . مروِّع !

بريسكا : والآن بعدهذ كله تكاد تلمس جسدى هذه اليد وهاتان الذراعان و . . .

مشلينيا : كفى . . . كفى . . .

بريسكا : (تشير إلى جسدها) نعم . هذا الجسد . انظر باحبيب جدتى . . ألاتعرفُ كم عمْره ؟ عشرون ربيعا فقط

مشلينيا : (يخفى وجهه براحتيه) يالفظاعة . . ماتقولين .

بريسكا : أرأيتَ ؟؟ مادمنا فى عالم القلب فلن نرى إلا نوراً . ذلك هو النورُ الذى تحكى عنه . .

مشلينيا : نعم . . . نعم . .

بريسكا : وكان ينبغى أن تذكرَ الجسد المادى لنزل إلى عالم العقل فنرى الفظاعةَ والهولَ والشقاءَ الآدمى الذى ينتظرنا .

مشلينيا : نعم . . . نعم . . الوداع . . يا . . يا . . لستُ أجسرُ الآن

أرى مصيبتى وأحسُّ عُظْمَ مانزل بى ، لا مرنوش ولا يمليخار زئا بمثل هذا . . إن بينى وبينكِ خطوةً . . بينى وبينك شبه ليلة . فأذا الخطوةُ بحار لانهايةَ لها . وإذا الليلةُ أجيال . . أجيال . . وأمدّ يدى إليكِ وأنا أراك حية جميلة أمامى فيحول بيننا كائن هائل جبار . هو التاريخ ! نعم صدق مرنوش . . لقد فات زمانُنا ، ونحن الآن ملكُ التاريخ . . ولقد أردنا العودةَ إلى الزمنِ ولكنَّ التاريخَ ينتقم . . الوداع ! .

ريسكا : (ترنو إليه وهو ينصرف حتى يختفىَ ، فتقول فى صوت خافت عميق) الوداعَ يامثلينيا ! . . .

الفصل الرابع

منظر الفصل الأول عينه : الكهف «بالرقيم» يمليخا ومرنوش ومشلينيا ممددون على أرض المكان كالموتي أوالمحتضرين ... والكلب قطمير قابع على مقربة منهم ... سكوت عميق ...

مشلينيا : (فى صوت ضعيف) مرنوش ! (مرنوش لايجيب) يمليخا .. (يمليخا لايجيب) أحسُّ الموتَ ... (لايسمع جواباً ــ يسكت لحظة) أين نحن يامرنوش ؟ نحن فى الكهف ... ولم نغادرْ قط الكهف ... كم لبثنا يامرنوش ؟ (لاجواب) . يوماً أو بعضَ يوم ؟ (مامن مجيب) يمليخا ! أين الطعامُ الذى ذهبتَ لتأتى به ؟ إنى جائع .. أصابنى الهُزال . سأموت . (لاجواب ..) كلا . ليس الجوع يؤلمنى ، بل هراءُ المكان . أكاد أختنق ، أكاد أختنقُ هاهنا .. إنا رقدنا كثيراً ونمنا طويلا

انهضا أيُّها البليلدان ... لقد رأيتُ أحلاماً مفزِّعة .

(لا يجيبه أحد فينهض ويتلمَّس باحثاً عن مرنوش

يهزه بيده) مرنوش ! . مرنوش ! .

مرنوش : (فى صوت ضعيف جداً) آه . من ؟

مشلينيا : أنا مشلينيا . .

مرنوش : دع . . . دعنى .

مشلينيا : ما بك ؟ أمريض ؟

مرنوش : إنه . . . يقتربُ .

مشلينيا : مَنْ ؟ . ماذا ؟

مرنوش : المرْكَب .

مشلينيا : أىُّ مركب ؟ !

مرنوش : الذى سيحملنا إلى . . إلى حيثُ يجب أن نكون .

مشلينيا : لا . . يامرنوش ، ليس هناك مركَب مقبل . بل

يجبُ أن نذهب نحن على أقدامنا . . إننا نمنا طويلا . .

وآن لنا أن نخرجَ .

مرنوش : نخرج ؟ ؟

مشلينيا : نعم . نعم . إنَّ المذبحةَ بلاشك قد انتهت، ودقيانوس قد هدأ ثائرُه .

مرنوش : ربَّاه ! أهو . . . بُحْرانُ الموتِ ؟ !

مشلينيا : نعم . أنتَ في بُحْرانٍ لأنك تتكلم عن مركبٍ ! لعله الضعفُ ؟ أنا كذلك أحسُّ كأن قدمي لا تستطيعان حملي . ومع ذلك ينبغي أن نخرجَ من هذا المكان . فقد حَلَمْتُ أحلاماً مزعجةً .

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : نعم يا مرنوش لقد رأيتُ كأنّ أناساً ذوي منظرٍ غريبٍ دخلوا علينا الكهف واقتادونا إلى القصر . فأذا نحن نرى هناك كلّ شيء قد تغيّر . فالملك ليس بدقيانوس، وطَرَسوسَ ليست بطَرَسُوس . يالالويل ! وبريسكا . . حتى بريسكا رأيتُها فلم تعرفني، وزعمت أنها تشبهها وليست إياها . . وأن الأخرى ماتت عذراء منذ ثلثمائة عام ، وأننا عشنا كذلك ثلثمائةِ عام .

مرنوش : (في صيحةٍ) آه . . . أهذا حُلمٌ ؟

مشلينيا : مزعج كما ترى .

مرنوش : أحلم هو أم حقيقة ؟

مشلينيا : حقيقةٌ ؟

مرنوش : نعم . . . لقد خرجنا حقيقةً ثم عدنا

مشلينيا : متى ؟ . إنك لفى بُحران أيها المسكين !

مرنوش : بل أنت . . بل أنت . . .

مشلينيا : كيف ! أكان يقظةَ كلُّ ماقلت أعشنا ثلثمائة عام ؟ وپريسكا ليستْ پريسكا ؟ . ماهذا الخرفُ ؟ ما هذا الخلْط ؟ أيستطيعُ عقل أن يتخيّل كل هذا ؟ .

مرنوش : إنى رأيت عينَ مارأيت . أكنتُ أحلم أنا أيضاً

مشلينيا : ماذا أَحَلمت أنت ؟

مرنوش : إنهم دخلوا علينا كما قلتَ . وأن البلدَ غيرُ البلد وأن أهلى . . آه . . يا للويل . . . إن مكانَ بيتى سوقٌ للسلاح ، وإن ولدى مات فى سن الستين منذُ ثلثمائة عام ، وقد شاهدتُ قبره المتهدّمَ بعينى رأسى

مشلينيا : مات فى سنّ الستين ؟ . ابنُك الصغير ؟ وأنت لم تبلغ

بعد الأربعين ؟ أليس هذا خَلْطَ حُلم ؟

مرنوش : نعم . . . لا . . ربَّاه . . أحلم هذا حقا أم يقظة ؟

مشلينيا : بل حُلم أيها المسكين .

مرنوش : إذن ولدى لم يزل حيا . . كما تركتهُ .

مشلينيا : نعم . . وپريسكا لم تزل خطيبتى ، وستُلقى بنفسها فى أحضانى إذ تَرانى .

مرنوش : إنهما فى قيد الحياة ! . لستُ أصدق ، بل ولم لا ؟ إنا لم نغادر الكهف . فكيف تمر ثلثمائة عام فى لحظة ؟ ولكن لا ... بل نعم ... رباه الرحمة . . لقد فقدتُ التمييز . .

مشلينيا : ثق أنه حلم .

مرنوش : فلنسل يمليخا ... يا يمليخا . (يمليخا لا يجيب) أيقِظ يمليخا ...

مشلينيا : (يهز يمليخا) قم . . أيها الراعى . . (يمليخا يتحرك ويئن) استيقظ ! . . .

يمليخا : (فى صوت ضعيف) أين . . أنا ؟

مشلينيا : فى الكهفِ .

يمليخا : ألم أُمت بعدَ ؟

مرنوش : يمليخا . .

يمليخا : من . . . يناديني ؟ .

مرنوش : يمليخا . . أحلم هو أم حقيقةٌ ؟

مشلينيا : أجبْ يايمليخا . أخرَجنا حقاً من هذا المكانِ ؟

يمليخا : ماذا . . أسمع ؟

مشلينيا : ها نحن أولاءِ الثلاثة . . وقطميرٌ رابض معنا . وقد كنا نائمين . .

يمليخا : يالِلمسيح . . أكان حُلما ؟ !

مشلينيا : أأنتَ أيضاً رأيتَ ؟ . حدِّثنا بما رأيت . . .

يمليخا : ربَّاه ؟

مرنوش : تكلم يايمليخا . .

يمليخا : ألم يَدْخلوا علينا إذن حقيقة ويقتادونا إلى القصرِ ؟

مرنوش : أنت أيضاً رأيتَ ذلك ؟

يمليخا : وأعجبُ منه . وأشدّ هولا : طرَسوُس ليست بطَرَسوس

بل عالم آخر وجيل آخر لم أستطع الحياة فيه.. لا أنا ولا قطمير كلبى .

مشلينيا : عجباً !

مرنوش : مشلينيا ! أو يمكن أن نحلم جميعاً حلما واحداً متشابهاً . . .

يمليخا : أكان هذا حلما مرنوش . مشلينيا . أما خرجنا حقيقةً من الكهف ؟ وهذا الرعب الذى رأيت فى المدينة ؟ أحدث كل هذا فى رأسى وأنا نائم هنا ؟.

مرنوش : مشلينيا ؟ أيرى ثلاثتنا حلماً واحداً ؟

مشلينيا : وما يمنع ؟ نحن فى مكان واحد وفى حال واحدة تتلسط علينا أفكار واحدة .

يمليخا : (فى فرح) إذن كان حلما . وإذا خرجنا الآن وجدنا عالمنا الذى نستطيع أن نعيش فيه !

مرنوش : (فى فرح بالغ) وافرحتاه ولدى حى ينتظرهدايا ولعباً.

مشلينيا : وبريسكا . ياللهول ! إنى أرتعد مما رأيت فى الحلم ؟ إنها انقلبت حفيدة من حفدائى . وإذا يدى لا تستطيع

أن تمتدَ إلى جسدها ويلاه! .. الجسد. الجسد. أذكر هذه الكلمةَ. إنها هي التي فاهت بها في ذُعر، وفهمتُ عندئذ أن شيئاً يفصلُ أحدَنا عن الآخر، فهربتُ يائساً إلى الكهف لأموتَ جوعاً ..

مرنوش : نعم ... نحن كذلك هربنا إلى الكهف لنموت جوعا ...

يمليخا : يا للمسيح! . نعم . . . نعم . . .

مشلينيا : لعل كلَّ هذا من بُحْرانِ الجوعِ . لقد نمنا منذ لجأنا إلى الكهف فِراراً من دقيانوس .. فلم نذُق من ذلك الحينِ شيئاً

مرنوش : بحْران الجوعُ ! أذكر أنّا بَعَثْنا يمليخا إلى المدينة ليشترىَ لنا طعاماً

يمليخا : نعم . . . نعم . . .

مشلينيا : كان هذا أيضاً من البُحْرانِ .

يمليخا : لقد خرجتُ فصادفتُ فارسا صياداً ذا هيئة غريبة! رباه .. نعم هو بُحْرانٌ .

مرنوش : حُلم ؟ بحران ؟ حقيقةٌ ؟ يا إلهى ! لم أعد أستطيع التمييزَ .

مشلينيا : نعم . هو حُلم كالحقيقة .

يمليخا : وواضح جلىّ . . كأنه حقيقة .

مرنوش : مشلينيا . . . مشلينيا . . كيف عرفتَ أنه حُلم ؟!

مشلينيا : إن لم يكر مارأينا حُلماً فنحن الآن فى حُلم .

مرنوش : ولمَ لانكونُ الآن فى حلم ؟؟

يمليخا : نعم . . . نعم يارب ، ما الحدّ الفاصلُ بين الحلم والحقيقة ؟ لقد اختبل عقلى . رُحماك أيها المسيحُ !

مشلينيا : أتريدان القول بأننا عشنا ثلثمائة عام فى الحقيقة ؟ .

مرنوش : (ويمليخا معاً) ثلثمائة عام .

مشلينيا : الحلم وحدَه هو الذى يستطيع فيه الإنسان أو يعيش مئاتِ الأعوام دون أن يشعرَ بمرّها . . .

مرنوش : صدقتَ يامشلينيا . . .

مشلينيا : أحمد اللهَ على أنه حُلم . . وإلا كنت فقدتُ بريسكا إلى الأبد . .

مرنوش : نعم . . . وافرحتاه . . . وأنا . . . كذلك . . .

يمليخا : أنا أيضاً . . . إذن غنمى لم تزل ترعى الكلأ فى موضعها . . .

مشلينيا : (بعد لحظة . . . فى صوت المتأمّل المفتون) ومع ذلك يامرنوش . . .

مرنوش : ماذا ؟ . . ماذا ؟

مشلينيا : مع ذلك شدّ ما كان حلماً لذيذاً . .

مرنوش : لذيذاً ؟ ماذا تقول ؟

مشلينيا : لم أر بريسكا قط على مثل ذلك الجمالِ والذكاء الذى رأيتُ فى الحلم، لقد كان بيدها كتابٌ، وكان حديثها حديثَ فَطِن هذّبته القراءات . هذا عجيب ! إنّ بريسكا الساذجةَ البسيطةَ التى كنتُ أقرأ لها خفيةً الكتابَ المقدّس وهى لا تكاد تفهم منه . . . قد قلبها الحلم أمام عينى امرأةً ذكية الفؤادِ عاليةَ الفكر . . . ما أجملها ! نعم ما أجملها ! مرنوش . . . مرنوش . . .

مرنوش : ماذا بكَ ؟

مشلينيا : مرنوش! أخشى أن أقولَ إنى . . . أحببت پريسكا التى فى الحلم . . .

مرنوش : ماهذا الهذيانُ ؟ . . .

مشلينيا : (متنهداً فى لذة) كم يجمل الحلمُ الأشياء والأشخاص !

مرنوش : وكم يشوّهها ويبشّعها أيضاً !

مشلينيا : نعم . نعم . . إنها كذلك كانت فى الحلم كالغريبة عنّى لاتصلها بى صلة . ثم فكرةُ الشَّبه . . . وفكرة الحفيدة . . تلك كلّها من فنون الحلم التى يبشّع بها الحقيقةَ . نعم يامرنوش . . . إنَّ الحلمَ أحياناً كالفن لاينقل الحقيقةَ كما هى بل يُسبغ عليها من عبقريته جمالا لم يكن ، أو بشاعةً لم تكن !

مرنوش : صدقتَ . . . ويرفع الأشخاصَ والأشياء . . . لقد رأيت كأنهم يدعونى بالقدّيس !

مشلينيا : عجبا ! وأنا كذلك . . .

مرنوش : إنى أفضّل الحقيقة على خفضها وضآلتها . .

مشلينيا : وأنا أيضاً ولكن . . . وا أسفاه ! لو أنها كانت فى

الحقيقة على هذا الجمال والذكاء . . ما أجملها لو رأيتها يا مرنوش ! ما أجملها وهى تتكلم . . . لقد كانتْ فى ثوب غريب لكنّه جميل . . . ولقد ارتديتُ أنا كذلك ثوباً غريباً جميلا . . .

يمليخا : (يئنّ متوجعاً) آه . . .

مرنوش : لمن هذا الأنينُ ؟ يمليخا . . .

مشلينيا : أمريضٌ أنت يا يمليخا . . .

يمليخا : (صوتٍ كالحشرجة) كلا . . بل . .

مشلينيا : إنه الجوع . إنى أحس ضعفاً هائلا . . لماذا لا نبعث أحداً يَشْرى لنا طعاماً ؟

مرنوش : نعم . . نعم . . ويستطلِعُ لنا الخبر . . اذهب يا يمليخا . . .

يمليخا : آه . . يا للمسيح . . الرحمة . .

مرنوش : مابكَ . . يا يمليخا . . (يمليخا يلفظ آهة)

مشلينيا : كلنا ضعيف مثلك . . قم . . انهض . . واذهب واطْعَمْ مما تشتريه ، كى تستردَّ قوّتك . .

مرنوش : نعم .. قم يا يمليخا .. انهض ..

يمليخا : (يحاول النهوض) آه .. سأنهض .. سأ .. اه.

(يقع على الأرض محشرجا) .

مشلينيا : يمليخا .. يمليخا ..

مرنوش : (فى ارتياع) سمعتُ صوتَ سقوط جسم .

مشلينيا : (فى صوت خافت مرتاع) لمن هذه الحشرجة؟ يمليخا

يمليخا : إنى .. أموت .

(مشلينيا ومرنوش فى سكون رهيب)

يمليخا : (بعد لحظة) الوداعَ .. أشهدُ اللهَ والمسيحَ .. أنى أموتُ ولا أعرف . هل كانت حياتى . حُلماً .. أم . حقيقة . ؟!

(صمت)

مرنوش : (بعد لحظة) يمليخا .

مشلينيا : (بعد لحظة) يمليخا ..

(سكون ولا من مجيب)

مرنوش : مات ...

مشلينيا : (بصوت خافت جَزِع) نعم ..

مرنوش : (بعد لحظة صمت) مشلينيا .. أسدِل على وجهه غطاء !

مشلينيا : أىّ غطاء ؟ ...

مرنوش . خُذ جزءاً من ثيابى .. إنى أكاد أختنق فيها ..

مشلينيا : (فى صوت متغير) أنا أيضاً .. أختنق ..

مرنوش : (صائحا وقد لمس ثيابه) مشلينيا . مشلينيا .. !

مشلينيا : ماذا ؟

مرنوش : مشلينيا .. ! ثيابى ..

مشلينيا : مابكَ يا مرنوش ؟

مرنوش : ربّاه .. مشلينيا .. الخصْ ثيابَك .

مشلينيا : (بعد لحظة — فى رعب) مرنوش .. نعم .. نعم .. أدركتُ .. أدركت يالليل . أممكن هذا ؟

مرنوش : إنها ثيابُ الحلم يا مشلينيا ..

مشلينيا : أجل يا مرنوُش ..

مرنوش : مامعنى هذا . ؟

مشلينيا : لستُ أدرى . ربّاه .. إنى خائف .

مرنوش : الآن ... لم يبق شكٌّ ..

مشلينيا : (فى خوف) قيم يا مرنوش ..؟

مرنوش : فى أنها كانت يقظة . (مسلينيا لا يُحير جوابا) كانت حقيقة .. (مشلينيا لا يُحير جوابا) ماذا دهاك ؟ .

مشلينيا : حقيقة ؟!

مرنوش : عذّبْ نفسك أيها المسكين .. أما أنا فلا يهولنى أن أعلمَ هذا. إنّى إنما رجعتُ لأموت لأنّ قلبى كان قد مات .إنك أنت الذى أوْهمنا أنه حُلم، لقد أمكنك أن تخدَع منا العقلَ .ولكنّ القلب لم يُخدع لأن قلبى كان قد مات ..

مشلينيا : (يئن) مرنوش ! ..

مرنوش : اعترفْ أيها البائس أنك ما كنت رجعت لتموت ..

مشلينيا : نعم يا مرنوش ..

مرنوش : إذن ما الذى أوحى إليك بهذا السَّرابِ ؟!

مشلينيا : أقر بأن قلبى لم يكن قد مات ...

مرنوش : نعم .. القلب .. نافورة الأحلام والآمال .. ماذا كنت تؤمل بعدُ أيها الشَّبح ؟!

مشلينيا : لاشيء لم أكن أؤمّلُ فى شيء .. لقد رجعتُ وأنا فاقدُ الأمل فى الحياة ، ولكن .. الآن أحسّ أنى أحب يامرنوش . أحبّ بكل مايستطيعه قلب ..

مرنوش : تحبّ ؟

مشلينيا : سيّان عندى أن تكون إيّاها أو لاتكون . أحب هذه المرأةَ ذاتَ الكتابِ التى رأيتُها فى . اليقظة !

مرنوش : أنت جُننْتَ يامشلينيا ..

مشلينيا : لم أجنّ . إنى فتى ، ولى قلب فتىّ . قلب حى ، كيف تريد أن أدفنَ قلبى ؟ كيف أدفن نفسى حيًّا ، ومن أحب على قيدِ الحياة ، لايفصلنى عنها فاصلٌ .

مرنوش : بل يفصلك عنها فاصل .

مشلينيا : الزمن .

مرنوش : (فى صوت خطير هائل) نعم ..

مشلينيا : (فى يأس) آه .. يامرنوش ! الرحمة .. أريد أن أعيش

ارحمنى يامرنوش ! أريد أن أعيش .

مرنوس : سوف تعيش . .

مشلينيا : (فى فرح) أصحيحٌ يامرنوش ؟ أأستطيع أن أعيش ؟

مرنوش : نعم . بين جلدَتَىْ كتاب .

مشلينيا : (يائساً) آه .

مرنوش : لافائدةَ من نِزال الزمنِ . . لقد أرادت مصرُ من قبل محاربةَ الزمن بالشباب ، فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الهرم والشيخوخه كما قال لى يوما قائد جند عاد من مصر ، كل صورة فيها هى للشباب من آلهةٍ ورجال وحيوان . . كلُّ شىءٍ شاب . . ولكن الزمن قتل مصرَ وهى شابّة وما تزال ولنْ تزالَ . . وانْ نزال الزمنُ ينزل بها الموت كلما شاء ، وكلما كُتب عليها أن تموتَ . . (مشلينيا لايجيب) مشلينيا . . (مشلينيا لايجيب . ويتكلم مرنوش بعد لحظة فى صوت ضعيف مشلينيا . . إن الكلام قد نَهك ما بَقِىَ من قواى . أحسُّ البرودَة تسرِى فى جسدى . . قد نسينا أنّا فى

طريق الموت منذ أسابيع ! (مشلينيا لا يجيب — مرنوش فى صوت خائر) مشلينيا ! لماذا لا تجيبنى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منى ؟

مرنوش : (ضعيف الصوت) أصغ إلىّ . لا تحاول المستحيل

مشلينيا : لست أحاول شيئاً .

مرنوش : (متخاذل الصوت) أفهم أنك رجل ميت ..

مشلينيا : أفهم ..

(صمت عميق)

مرنوش : (فى شبه أنين) مشلـ .. ينيا .. (مشلينيا لا يجيب) سأذهب . يا .. مشلينيا ..

مشلينيا : (كأنما يخاطب نفسه) الزمن .. ماهو الزمن ؟!

مرنوش : (يحتضر) مشلينيا .. ضع .. يدى اليسرى فى يد بمليخا .. (مشلينيا واجم) مات المسكين .. ولم يعرف الحقيقة .. ومع ذلك .. هل عرفناها نحن ؟

مشلينيا : ماذا تعنى .. يامرنوش ؟

مرنوش : أحلام .. نحن أحلام الزمن ..

مشلينيا : الزمن يامرنوش ؟.

مرنوش : نعم الزمن يحلمنا !

مشلينيا : كي يمحونا بعدَ ذلك ؟!

مرنوش : إلاّ من استحقّ الذكر فيبقى في ذاكرته .

مشلينيا : التاريخ ؟!

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (في قلق) أهذا هو كلّ مانرتجيه بعد الموت ؟ أهذا كل تلك الحياة الأخرى .. ؟!

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (في قلق) مرنوش ؟ أنت إذن لاتؤمن بالبعث ؟

مرنوش : أحمق ! أو لم نرَ بأعيننا إفلاسَ البعث ! ؟

مشلينيا : أستغفر الله .أنت الذى عاش مسيحيًّا تموتُ الآن كوثنى ؟.

مرنوش : (في صوت خافت) نعم .. أموت الآن ..

مشلينيا : مجرداً عن الإيمان .

مرنوش : مجرداً .. عن كلّ شيء .. عارياً كما ظهرت ..

لا أفكارَ ولا عواطفَ . . ولا عقائد . . .

مشلينيا : رحمةَ لك أيُّها التعِس !

مرنوش : مشلينيا . . (مشلينيا ينظر إليه ولا يجيب) وقتما تلحق بى . . ضعْ يدَك . . فى يدِى اليمنى . .

مشلينيا : حاشا أن أضعَ يدى فى يد وثنى .

مرنوش : إذن . . . (مشلينيا ينظر إليه صامتاً وهو يموت) . . الوداعَ . . (حشرجة ثم صمت)

مشلينيا : (بعد لحظة) مرنوش . (مرنوش لا يجيب) مرنوش . . صديقى ! . أخى . . (لا يَسمعُ جواباً) مات . . مرنوش (ينظر إلى السماء) اللهم ارحمه رحمةً واسعةً ، إنه قانطٌ فقد قَلبَهَ ولا يَعِى ما يقول ، (صمت عميق) لم يبق سواى وكلب الراعى ، ذهب يمليخا ولم يذكر كلبه (ينادى) قِطمير . . . قِطمير . . (لا يجيبه سوى الصدى) لعله مات كذلك وهو رابض فلم ينتبه إليه أحد . ولم يستطيع المسكين مقاومةَ الجوع (لحظة صمت) هو أيضاً عاش حياته وذهب كأنه ظل كلب مرَّ فوق

حائط ... (لحظة) ماالفرق بين قطمير وظله ؟ ـ (لحظة تأمل) رباه . أخشى أن يكون مرنوش قد أصاب . (لحظة تأمل أخرى) كلا كلا .. لقد فقد مرنوش البصيرة . لسنا حُلما ... لا ... بل الزمن هو الحلم .. أما نحن فحقيقة .. هو الظل الزائل ونحن الباقون .. بل حلمنا . نحن نحلُم . الزمن هو وليدُ خيالِنا وقريحتنا ولا وجودَ له بدوننا . إن تلك القوةَ المركبةَ فينا وهي العقل ، منظِّمُ جسمِنا المادىّ المحدود .. آلة المقاييس والأبعادِ المحدودة .. هو الذى اخترَع مقياس الزمن ولكن فينا قوة أخرى تستطيع هَدْمَ كل ذلك . أوَلم نعش ثلثمائة عام فى ليلة واحدة فحطّمنا بذلك الحدودَ والمقاييسَ والأبعادَ ؟ نعم ها نحن أولاء استطعنا أن نمحو الزمن .. نعم تغلبنا عليه ... (لحظة) لكن ... وَا أسفاه ! پريسكا : ما يحولُ بيني وبينها إذن ؟ الزمن ؟ نعم محوناه .. ولكن ها هو ذا يمحونا ، الزمن ينتقِم ، إنه

يطردنا الآن كأشباح مخيفة ويعلن أنه لا يعرفنا ويحكم علينا بالنفي بعيداً عن مملكته . . . ربي ! هذه المبارزة الهائلة بيننا وبين الزمن أتراها انتهت بالنصر له ؟ !

(بعد لحظة منهوكا) آه . . . لقد تعبتُ . . . تعبتُ من الكلام ومن التفكير . . . ومن الحياة . بل من . . . الحلم . . . هذه ليست الحياةَ . بل هي حلم مُهَوَّش مضطرب . . . إلى الحقيقة إذن . . . الصافية الجميلة ! نعم إن الحقيقةَ لا يمكن أن تكونَ بهذا الاضطراب، ولا يمكن كذلك ألاّ تكونَ هناك حقيقة . .

(لحظة) أشهدُ الله . أني أموتُ مؤمنا . . أشهد المسيحَ أني أومن بالبعث لأن لي . . . قلباً يحبّ .

(صمت) . (تظهر بعد لحظة بريسكا يتبعها غالياس)

بريسكا : (تقف جامدة في رهبة) : يخيّل إليّ أني سمعت صوتاً هنا . .

غالياس : مستحيل يا مولاتي ، إنهم جُثث هامدة كما تَرَيْنَ . . ولقد مضى نحو شهر وهم محبوسونَ بلا طعام

بريسكا : صوت كالحشرجة يتكلم . .

غالياس : لعله صَدَى دخولِنا الكهفَ ...

بريسكا : غالياس ! . . أأنت مستعدّ لتنفيذِ ماقلتُ لك ؟

غالياس : مولاتى . أتوسّل إليك أن تتفكّرى . .

بريسكا : شَبِعتُ من توسلاتِك شهراً ياغالياس . أريد أن أعرف الآن وقدجاء يومُ العملِ أمستعدّ أنت أم لا ؟

غالياس : إنى دائماً مستعد لتقديم حياتى القصيرةِ لك يامولاتى .

بريسكا : ألم يَرَنى أحد وأنا آتية هنا ؟ .

غالياس : كلا يا مولاتى . . لكن . .

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : الملك ... إنه يتأهّبُ الساعةَ للخروج فى الموكبِ وقد يسألُ عنكِ فى القصر لتخرجى معه . . إن هذا مِهْرجان دينىّ عام ، وأنتِ صاحبةُ الفكرة فى إقامته

بريسكا : بل الشعبُ يمجد قِدّيسيه ...

غالياس : مولاتى . . ألستِ أنتِ الموحية إلى الملكِ ببناء مَعْبد عليهم ؟

بريسكا : وبعدُ ؟

غالياس : قد يطلبُكَ الملكُ إلى جانبه اليومَ ، إذ يحتفون بسدّ باب الكهف ووضع الأساس..

بريسكا : لقد دبرتُ الأمر ... واعتذرتُ بالمرض. (صمت عميقٌ يُسمع فيه صوت حشرجة) (بريسكا فى رهبة) غالياس ! أسمعتَ ؟.

غالياس : ماذا ... يامولاتى ؟

بريسكا : إلهى أهنا .. مازالتْ حياة؟ (تتردد، ثم تتقدم خطوة)

غالياس : إلى أين يامولاتى ؟ لاتذهبى ..

بريسكا : دعْنى ... دعْنى ... مشلينيا (تندفع باحثةً عنه بين الجُثَث)

مشلينيا : (فى صوت خافت) بريسكا ...

بريسكا : (فى فرح جنونى) تلفظ اسمى ! أأنتَ حىّ ؟ أأنتَ حىّ بعد ؟ مشلينيا .. مشلينيا .. لاتمت .. لاتمت ... غالياس ، أسرعْ . قليلاً من الماء .. قليلاً من اللبن .. من الطعام ... أسرعْ . أتوسل إليك .. أتوسل ...

إليك . (غالياس يخرج مسرعاً)

مشلينيا : (فى بطء وجهد) لا .. نَفْع ..

پريسكا : بل عِشْ .. عِشْ لى ، لاتمت : إنى أحبُّك .

مشلينيا : الز ... من ..

پريسكا : الزمن ؟ لاشىء يفصلنى عنك . إن القلبَ أقوى من الزمن !

مشلينيا : أحلم .. آخرُ .. سعيد ؟!

پريسكا : بل حقيقةٌ .. حقيقةٌ خالدةٌ يامشلينيا .. أنا پريسكا وليس يَهُمُّنى بعد أن أكونَ إياها أولا أكون . بل من يدرى ؟ لعلى هى . إن الشَبَهَ بيننا ليس مُصادفةً ، ومقابلتُنا ليستْ مصادفةً كذلك .. مقابلتُنا فى هذا الجيل ... إنك بُعِثْت لى ، وبُعِثْتُ أنا لك ، بعثاً من نوع آخر .. قُمْ .. واحىَ .. وعشْ ...

مشلينيا : يالالسَّعا ... دة ..

پريسكا : تجلَّد يامشلينيا تجلَّدْ ...

مشلينيا : (يجاهد) نعم . لستُ أريد .. لستُ أريدُ الموتَ

رباه! أنقذنى. هاهى ذى السعادة.. ها..قد قهرنا ...
الزمن ... القلب قهر ... (تخونه قواه ...)

پريسكا : (وهى ترفع رأسه بين ذراعيها) نعم ... نعم القلب قَهرَ الزمن. انهض يامشلينيا ..إنى منذ حادثتك أول مَرَّة كأنى أحبك منذ ثلثمائة عام. وسوف أحبُّكَ إلى ألف الأعوام ... قم بالله تجلد .. تجلَّدْ ... تجلد!

مشلينيا : وا... أسفاه!

پريسكا : (تحنو على وجهه و تنظر إليه)فات الأوان؟ تريد أن تبكى ولا تستطيع؟ لا بأس! فلتهدأ نفساً! ... لم ينته بعدُ كلُّ شىء...

مشلينيا : پر... يسكا...

پريسكا : نَمْ يامشلينيا العزيز ...لن ينتهى كل شىء.

مشلينيا : إلى .. الملتقى ...

پريسكا : نعم إلى الملتقى ...

(تضع رأسه على الأرض فى رِفق ،و تُطرق باكية فى صمت) .

غالياس : (يدخل مسرعا حاملا وعاء) ماهو ذا وعاء من اللبن سرقته من أحد البنائين خارج الكهف ! (پريسكا لاتجيب) مولاتى ... مابك ؟ (پريسكا لاتتحرك ، ويلتفت المؤدب إلى الجثة) رباه ! فات الوقت !

پريسكا : (فى صوت باك لايكاد يسمع) نعم ..

غالياس : (ينظر إليها فى صمت ، لايجرؤ على الكلام ، وأخيراً :) مولاتى ! أتبكين ؟ (پريسكا لاتجيب) إنك جئت ياموﻻتى على أنه ميّت منذ أسابيع ..

پريسكا : ليتنى وجدته كذلك ...

غالياس : قضى الأمر ! ماذا يُجدى إذن الآن الحزن والبكاء ؟!

پريسكا : لست أبكى لنفسى ياغالياس ... أنت تعلم أنى لم أشأ المجىء إليه وهو على قيد الحياة ، وانتظرت عن قصد طول هذا الشهر .. ألم أقل لك : محالٌ أن يجمعنا الحب فى هذا العالم .. أو على الأقل فى هذا الجيل ؟

غالياس : إذن لم تبكين ياموﻻتى ؟

پريسكا : آه ياغالياس .. ! لو أنك تحسّ وتفهم . يا للقسوة !

إنى أبكى تلك السعادةَ التى لمعت كالبرق لحظة ثم انطفأت . . وهذا المشهد المؤلم الساعة . مشلينيا يجالد الموت ويتمسك بالحياة ويتشبث بها . وفاضت روحه فى اللحظة التى ظفر فيها بالسعادة ، ولفظ النفس الأخير وهو يأمل فى الملتقى . نعم إلى الملتقى يا حبيبى مشلينيا ، هنا محال . . . لكن فى جيلٍ آخر حيث لا فاصل بيننا .

غالياس : فى جيل آخر ؟ .

پريسكا : نعم . . أو فى عالم آخر . .

غالياس : صدقتِ . صدقت يا مولاتى ، إنى أعْجَب بإيمانك هـــذا . .

پريسكا : إياك وأن تشكَّ ياغالياس . .

غالياس : حاشا . . يامولاتى . . إنى مؤمن . . مؤمن . . غير أن . .

پريسكا : ماذا ؟

غالياس : غير أن إيمانك يبْهرُنى . إنكِ تتكلمين كالواثقة بحقيقة ما تقولين ، بل كمن رأت وعاشت مرة فى ذلك العالم الآخر ، لا يامولاتى . إيمانكِ من نوعٍ فوق طاقتى . . وفوق

طاقةِ البشر فَهمُه.. ولعل صلتك بالقدّيس والقديسين.

پريسكا : كلا . ليس هذا بالسببِ أيها الأحمق !

غالياس : نعم... أعرفُ ماتريدين... ولكن...

پريسكا : ولكنكَ لا تفهم ولا تحسّ ولا تصدّق .

غالياس : أصدّق يا مولاتى... أصدّق.. لكن ربما لا أفهم ولا أحسّ...

پريسكا : وما النفعُ أيها المسكين ؟ .

غالياس : مولاتى ! ماهو الحبّ الذى يفعل هذه الأعاجيب ويحلّق فوق الأجيال كما تحلق...

پريسكا : كما تحلّق الفراشةُ فوق الأزهار..

غالياس : نعم.. نعم.. ماهو ؟!

پريسكا : هو... هو... أيها الشيخ الفانى.. ماذا أقول لك؟ وكيف أخبركَ به ؟

غالياس : يخيّل إلىّ أنى قرأتُ شيئاً عنه يامولاتى...

پريسكا : لو كنتَ قرأت على الأقل قصةَ أوراشيما كما قرأتُها أنا منذُ قليل...

غالياس : قصة أوراشيما ؟ وماذا فيها غيرُ ما أعرف ؟

زيسكا : إنك لا تعرف شيئاً. ألا تذكرُ أنى سألتكَ أين كان أوراشيما مدى القرون الأربعة ، فلم تجب ؟ آه ... لو أنك قصصت علىّ ذلك .. (لحظة ثم تقول كأنها ترى أمامها ما نقص :) هناك ... على ساحل يُوشايمتد البحر ، بحر أزرق ساكن فى يومٍ صَيْف .. وقد خرج الفتى الصياد أوراشيما بقاربه ورمى بِشِباكه وانتظر .. انتظر أكثر النهار فلم يظفر بصيد ... وعند الاصيل . وقد حان وقتُ العودة .. عودة حزينة ولا ريب ... غيرُ موفّقة ... إنى أراها . أرى كل ذلك الآنَ بخيالى .. نظر أوراشيما فألفى سُلْحَفَاةً بَحرية قد وقعت فى الشَّرَك ففرح بها أىَّ فرح ... ولكنه ذكر أن السُّلحفاة مقدّسة عند ملك البحر ، وأن عمرها ألفُ عام ، ويقولون عشرة آلاف ، وأن قتلها لهذا حرام ، فخلصها الفتى فى رفق وأعادها إلى الماء بعد أن تلا صلاةً رقيقة حارة للآلهة . ولم يُصِب شيئاً بعدها . واشتدّ الحرّ ،

وعمَّ الصمت والسكون البحر والهواء وكل شيء. فأخذت أوراشيما سنةٌ من النوم؛ فاضطجع تاركاً القاربَ يسير الهوينى إلى غير قصد.. عند ذاك صعدتْ من البحر كما يصعَدُ الحلم، غادة جميلة ذات شعرٍ أسودَ طويل يتدلى فوق أكتافها البيضاء. وأخذت تقرب منزلقة على سطح الماء في لطف النسيم، حتى وقفت على شعر الفتى الناعس فانحنت عليه وأيقظته بلمسة خفيفة، ثم قالت له: لا تفزع إن أبي ملك البحر أرسلني إليك أشكرك على طيب قلبك، إذ أنتَ الآن أعدتَ الحياة إلى سُلَحْفَاة. والآن تعالَ معي إلى قصر أبي في الجزيرة التي لا يموت الصيفُ فيها أبداً. وإذا شئتَ فاني أصيرُ زوجتَك ونعيش سعيدَين طولَ الخلود» ... عجبَ أوراشيما لما سمع، وبهره جمالُ بنت ملك البحر فأسلم نفسه لها فتناولت أحدَ المجذافين وتناول هو الآخر وجعلا يسيران في صمت، متجهين بالقاربِ جهةَ الجنوب حيثُ تلك الجزيرةُ التي لا يموتُ الصيفُ فيها أبداً.. وبلغاها أخيراً

فأبصر الفتى مالم ترعين ، من قصور مرصّعة بجواهر البحر النادرة وكنوزه الباهرة، ومن جمال عجيب يكتنفه فى كل مكان... وأقيمت له مآدب وتلقى تحفاً غريبة وهدايا ثمينة من أهل مملكة البحر.. ثم أصبحت بنت ملك البحر زوجةً له بعد أفراح دامت عاماً ..وغمرت أوراشيما سعادةٌ لم يَصْحُ منها إلا بعد ثلاثة أعوام... عندئذ تذكر أهله الذين تركهم فى بلدة يوشا منذ خرج للصيد .. فتوسّل إلى امرأته أن تدَعه يذهب يوماً واحداً إلى وطنه يرى أهله ويعود إليها فلا يفارقها بعدئذ إلى الأبد . .فبكت امرأته فى صمت، ثم قالت له: «مادمت تريدُ الذهاب فافعل. .ولكنى أخشى ذهابك كثيراً. لأنى أخاف ألا يرى أحدُنا الآخر بعد الآن ... ولكنى سأعطيك عُلبةً صغيرة قد تُعينك على العودة إلىّ إذا فعلتَ ما أوصيكَ به : لا تفتحْها ...لا تفتحْها مطلقا .. مطلقا .. مهما يحدثْ من أمر، لأنك إن فتحتها فلن تستطيعَ رؤيتى أبداً) . .فوعدها أوراشيما خيراً

وودعها ثم ابتعد عنها .. وقد جعلت تتلاشى خلفه كالحلم تلك الجزيرةُ التى لايموتُ الصيفُ فيها أبداً .

ووصل إلى بلده فإذا هو يرى عجباً : كلّ شىء قد تغير ، وعبثاً حاول الاهْتداء إلى بيت أهله ، وعبثا حاول تعرُّفَ وجهٍ واحدٍ من تلك الوجوهِ الغريبةِ التى صادفها فى الطريق تنظر إليه نظراتِ الدهشةِ والعَجبِ .. ومرّ بشيخ مُسِنّ ، فسأله أوراشيما عن أسرته ؛ فَبُغِتَ الشيخ وبُهِتَ لحظة ، ثم صاح به : « من أين أتيتَ أيها الفتى حتى تجهلَ أسطورةَ أوراشيما ؟! إن أوراشيما خرج للصيد منذ أربعمائةِ عام فلم يرجعْ ، وإذا زرتَ المقابر وجدتَ تذْكاراً له من الحجر ، قد أكلته السنون » . . . عند ذاك اختلطَ على أوراشيما الأمرُ ، وظن أنه يرى حُلماً أو سراباً أو سحراً .. وطفق يسائل نفسه : « مامعنى هذا ؟ » وذكر العُلبةَ الصغيرة التى معه ، وخطر له أن فيها ماقد يكشِفُ له هذا السر الغامضَ .. سرَّ الزمن . سرَّ رؤيته الأربعمائةِ عام

ثلاثة أعوام . . . لكنه تذكرَّ قولَ زوجه بنت ملك البحر ووعْدَه لها، فأحجم قليلا، غير أن الشكَّ عاد يعذبه وراح يذهبُ به كل مذهب حتى كاد يضلُ ويختبل أُترى فى العُلبة سحراً؟.. أتراه مسحوراً أم هو إنسان فَقد عقله؟ وما هو هذا السحرُ الذى فى العُلبة؟ ما هيئته وما تركيبُه؟ وتناسى الوعد مع الأسف وفتح العلبة.

غالياس : ماذا وجد . . ؟

پريسكا : لاشىء . لم يجد بها سِوَى دُخان أبيضَ باردٍ تصاعد فى بطء حتى ارتفع فى الجوِّ كغمامة الصيف ، ثم اتجه نحو الجنوب فوق سطح البحر الصامت .

غالياس : هذا كل شىء ؟ . .

پريسكا : هذا كلُ شىء . . وعندئذ أدرك أو راشيما أنه مَحا سعادته بيده ، وأنه لن يستطيعَ إلى الأبد أن يعودَ إلى حبيبته بنت ملِك البحر .

غالياس : وبعدُ . . ؟

پريسكا : وبعد . . . أحسَّ لساعتهِ أنه يتغيرُ هو نفسه . . فإذا

دمه يجرى بارداً وإذا أسنانُه تتساقط وإذا شعره يصير كالثلج بياضاً وأعضاؤه ترتعد وجسَدُه يتقلص وقوته تتلاشى . وإذا هو فى لحظة يعودُ شيخاً هرِماً يرزح تحت وَقْر أربعمائةِ عام وقد انبطح فى انتظارِ الموتِ على ساحل البحر الأزرق الصامت الذى لم يتغيرْ ..

(صمت عميق)

غالياس : (بعد تفكير) هو الدخان الأبيض الذى بالعلْبَة إذن ، ما كان يحفظهُ من فِعل الزمن !

پريسكا : نعم ... أيها البسيط !

غالياس : ولكنى يامولاتى لم أر بعد فى هذه القصة كيف يخلق الحُب فوق الزمن مثل الفراشةِ فوقَ الأزهار .

پريسكا : فاتَ الأوان لن ترى ذلك فى هذه الحياة ...

(يسمع صوت ضجيج فى الخارج ودق طبول ونفخ أبواق)

پريسكا : اسمع ياغالياس .. اسمع .. إنهم آتون ..

غالياس : (ينصت) نعم .. هذا موكب الملك .. مولاتى .. أخشى أن يدخلَ الملك الكهفَ مودِّعاً قبل أن يأذنَ

بالبدء فى سَدِّ الغار . .

پريسكا : فى هذه الحال . . ما العملُ ؟

غالياس : (يشير إلى تجاويفِ الكهف) تخبئين يا مولاتى فى أحدِ هذه التجاويف . . .

پريسكا : نعم . . . نعم . . .

غالياس : ومع ذلك . . فلأذهبْ لاستقبالِ الملكِ حتى لا يرتاب فى غيبتى .

پريسكا : نعم . . . اذهبْ . . .

غالياس : وإذا دخل الملكُ فسأسبقه ، وستسمعين صوتى عالياً كى تنتبهى . .

(يخرج مسرعا على حين تقترب أصواتُ الأبواق والضجيج)

پريسكا : (وحدها فتنحنى على مشلينيا) مشلينيا ! . . . إنك لم تنكُثْ وعداً . . ولم تفتحْ علبة محرّمة . . ولم يتغلبْ الشك يوما على حبّك فيبدده دخانا طائراً . . فهل يستحق مثلك الفراقَ الأبدىّ عمن يحبّ ! ؟

(تصمت وتطرق . . إلى أن يدنو الضجيجُ من الباب)

غالياس : (يصيح بالباب) هاهنا يرقدُ القدّيسون أيها الملِك.
(بريسكا تنهض بسرعة وتختبيء . . . ثم يدخل الملك
وغالياس والصياد ورهبان وجند وحاشية) .

الملك : (يتراجع قليلا أمام الجثث ويرسُم على صدره علامة
الصليب ويلتفت إلى راهبٍ كبير) أيها الراهب .

الراهب : (يتقدم) مولاى .

الملك : ألا ترى أن نضع أجسادَهم المقدسة فى توابيت ثمينة؟

الراهب : كلا يامولاى . . . فلنتركهم كما هم حتى يكونَ هناك فرق
بين أولياء الله الصاعدين إلى السماء وبين البشر الماكثين
فى الأرض . إنهم ليسوا فى حاجة إلى التوابيت ،
فهم عما قليل يصعدُونَ . . .

الملك : وهل من الحكمةِ أن نتركهم هكذا ؟

الراهب : مادمنا سنُسدُّ عليهم الكهف، فهم فى شِبْهِ قبرٍ مُحكم .

الصياد : (يتقدم) مولاى ! أيأذنُ لى مولاىَ ؟ . .

الملك : تكلمْ أيها الصياد . . .

الصياد : لا ينبغى أن نَسُد الكهفَ عليهم .

الملك : لماذا ؟

الصياد : إنهم لم يموتوا يامولاى . .

الملك : ماذا تقول ؟

الصياد : إنهم نائمون نوماً عميقاً كما فى المرة الأولى . . وسوف يستيقظون بعد أعوام .

راهب : (آخر يتقدم) نعم يامولاى ! إنهم نائمون ، وسوف يستيقظون .

الصياد : فأذا سددنا عليهم ، فكيف يخرجون يامولاى كما خرجوا فى المرة الأولى ؟

الملك : عجبا ! أنائمون هم الآن ؟ !

الراهب : (الأول) كلا . . أيها الملِك . . بل هم ميتون حقيقة وسيصعَدون إلى السماء . .

غالياس : نعم يامولاى . لقد ماتوا حقا ، وسيصعَدون إلى السماء

الملك : عجبا . . ! أيُكم أصدِّقُ إذن ؟ .

الصياد : مولاى . ليكن أىُ الرأيين . . على كل حال لا لزوم لسدِّ الغار ، حَيطةً للمستقبل . . .

غالياس : كيف ؟ أو نتركهم هكذا لعبث العابثين ، وقد عرف الجميع مكانهم ؟

الملك : وإذا استيقظوا حقا ياغالياس ووجدوا البناء عليهم ؟.

غالياس : عنـــدئذ يامولاى ... عندئذ ... مولاى . لقد خطرت لى فكرة !

الملك : ماهى ؟ .

غالياس : نترك لهم معاول داخل الكهف . هنا بجوار المدخل ، ثم نسدّه فاذا ما بعثوا وأرادوا الخروج ووجدوا البناء عليهم ، فسوف يضربون بالمعاول فينفتح ...

الملك : لا بأسَ بالفكرة

غالياس : هاتوا ثلاثة معاول ... أسرعوا ... (يخرج أحدُ الأتباع سريعا ويأتى بالمعاول) ضعوها هنا بجوار المدخل ...

الملك : (يشير إلى رجال الدين) الآن تقدموا أيها الرهبان وقوموا بشعائركم ورسومكم وداعا للقديسين . وبعدئذ فلنخرج ولتُدَقّ الطبول ، وينفخ فى الأبواق ، إيذانا بسدّ القبر المقدس .. ياغالياس ... وأنت ياغالياس ... أعلن إلى

الشعب أن الأميرة قد منعها المرض عن توديع القديسين .. (الرهبان وخلفهم الملك والحاشية يقومون بالشعائر والتراتيل، ثم يخرج بعد ذلك الجميع)

(پريسكا تظهر بعد خلو المكان)

غالياس : (يعود مسرعا فى حذر) لقد غافلتهم وجئت إليك، الوقت ضيق ... وعما قليل تدق الطبول وينفخ فى الأبواق لسد المدخل، فأخبرينى يامولاتى على عجل بما تأمرين ...

پريسكا : لاشىء بعد ذلك ياغالياس ... إنى أشكرك ... اذهب ...

غالياس : ألم أنفذ كل ما أمرت به يامولاى ؟..

پريسكا : إنى أعرف إخلاصك وطيب قلبك دائما، اغفر لى ياغالياس إذا نالك بسببى ضرر من أبى، أنت قلت إنك مستعد للموت من أجلى، ويسألك الملك عنى وقد يكرمك بمطاوعتى .. وقد يحاكمك ويقتلك ...

غالياس : لا يهم هذا يامولاتى، إن حياتى الباقية هى لك

وفى خدمتكِ دائماً ... لكن ...

پريسكا : ماذا ؟

غالياس : إنى أخشى تعذيبَ ضميرى أكثرَ من تعذيب الملك. ويَشْهَدُ اللهُ كم توسلتُ إليكِ وكم حاولت صُرفَكِ عن عزمك ... وكم أردتُ إقناعك ...

پريسكا : لا تَخَفْ ياغالياسُ ! ذمتك بريئة . هذا يجب أن يكون ... هذا قدَر !

غالياس : نعم ... وإنكِ حَلمتِ ذات مرةٍ أنك ستُدْفَنين حية

پريسكا : صَدَق الحُلم ...

غالياس : كما صدق العرّاف . إنكِ قديسة يامولاتى ! نعم إنك قديسة بين القديسين ... وهذا مايعزّينى ... (يُسمعُ دُقّ الطبول) دُقّت الطبول ... يجب أن أخرج ... الوداعَ ياموﻻتى ! الوداعَ الولم تكلفينى مُهمة تهدئة المِلك الثاكلِ وتعزيته وإقناعه لمتُّ معكِ هنا ...

پريسكا : ومهمةٌ أخرى ياغالياس ، إذا علمت الناس قصتى

وتاريخي فاذكر لهم كما أوصيتُكَ ...

غالياس : (وهوَ يُهمّ بالخروج) أنك قديسة ..

پريسكا : كلا ... كلا ... أيها الأحمق الطيب . ليس هذا ما أوصيتُكَ ...

غالياس : انك امرأةٌ أحبَّتْ ..

پريسكا : نعم ... وكفى .

(يخرج غالياس وتبقى وحدَها ويُغلَق الكهفُ عليها وعلى الموتى)

انتهى

893.7H127
033

06720340
893.7H127
033 C1

BOUND
EP 24 1959

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58869891
893.7H127 O33 Ahl al-kahf /